صورة مصغرة من حياة المحدثين بمكة المكرمة

إعــداد

د/ محمد عبد الله ولد كريم

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

ملخص البحث

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنــتم مــسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

وبعد :

فهذا موضوع أعد عن الحياة العلمية في مكة بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة العربية سنة ١٤٢٥ هـ لقد مرت الحياة العلمية بمكة بمراحل متفاوتة كان أعظمها وأهمها تلك المرحلــة الذهبية المتمثلة في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير ، ثم أتت عليها بعد ذلك فترة ركود علمي له أسبابه وسأتعرض للأطوار العلمية التي مرت بها ، وكانت خطة البحث للموضوع مقــسمة على مقدمة – وتمهيد – وأربع صور مصغرة كل واحدة منها تعبر عن واقع فترة زمنية معينة .

أما المقدمة فتشمل سبب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث .

وأما التمهيد ففيه لمحة عن فضل مكة ، وما لها من مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ فتتحتم دراستها من الناحية العلمية ، وكان علم الحديث أهم ما ينبغي الاعتناء به بعد العنايــة بعلــوم

الكتاب العزيز ، ومن أهم الموضوعات التي ينبغي دراستها جهود العلماء في خدمة السنة في مكة المكرمة ، فقد كانت تعج بأعلام المحدثين الذين كان لهم نشاط في نشر علم الحديث ، وكانت الرحلة إليهم من جميع البلاد ، فقد كان خلق كثير يحجون والدافع لهم لقي سفيان بن عيينة للأخذ عنه بمكة ، وكانت تحصل بها مناظرات علمية بين العلماء لأن ظروف الحج تهيئ لهم الاجتماع في هذا المكان دون غيره .

وأما الصورة المصغرة الأولى فخصصت للحياة العلمية في القرون الثلاثة الأولى لما لها من أهمية .

الصورة المصغرة الثانية فمثلت عصر الركود العلمي بعد ذلك الازدهار ، وقد دامت هذه الفترة عدة قرون .

الصورة المصغرة الثالثة تمثل نهوض مكة من جديد والتطور العلمي بين كل طبقات المجتمع بعد الركود السابق .

الصورة المصغرة الرابعة فهي عن دَوْر المدارس التعليمية في مكة المكرمة وما لها من أثر بارز في ازدهار النهضة العلمية بمكة ، وكان يدرس بهذه المدارس أعيان العلماء من أصحاب المذاهب الأربعة .

هذا باختصار ما أردت التقديم به لهذا البحث وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ابن عبد الله .

* * *

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[٢] .

وبعد :

فهذا موضوع أُعِدَّ عن الحياة العلمية في مكة المكرمة في عصورها المختلفة بمناسبة اختيارها عاصمة للثقافة العربية سنة ١٤٢٥هـ .

إن مكة المكرمة – هي بلد الله الأمين الذي خرج منه نبيه الكريم خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من خلقه صلوات الله وسلامه عليه ، وأنزل عليه في هذا البلد مقداراً كبيراً من وحيه ، وجعل الله فيه بيته العتيق الكعبة المشرفة التي يتوجه الناس إليها في صلاتهم ويفدون إليها في حجهم ، ولعظيم مكانتها جعل الله ثواب العمل الصالح بها لا يساويه ثواب أي عمل صالح آخر خارجها ، ولقد مرت الحياة العلمية بمكة بمراحل متفاوتة كان أعظمها وأهمها المرحلة الذهبية وهي عصر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية القرون الثلاثة المشهود لها بالخير ، وفي هذه الفترة ظهر عدد كبير من المحدثين الذين كان يشار إليهم بالبنان . ثم أتت على مكة المكرمة بعد ذلك فترة ركود علمي بسبب الفتن والاضطرابات وقوة سلطان القرامطة ، والخلافات الداخلية بين الأشراف وغيرهم ، وتنازع السيادة الخارجية على مكة المكرمة من قبل الأيوبيين من جهة واليمنيين من جهة أخرى .

فكل هذا دفع العلماء إلى عدم القدوم إلى مكة ، كما دفع أبناءها إلى الرحيل عنها ، ولم تخرج مكة من هذا الوضع إلا في عهد الدولة المملوكية التي كانت تشجع العلماء وتكرمهم مما جعل عصرهم من أحسن العصور اللاحقة للعصور الأولى فقد ظهر فيه علماء أجلاء كبار في كل فن وخاصة علم الحديث.

وسأتعرض للأطوار العلمية التي مرت بها مكة المكرمة بشيء من التفصيل وخاصة علم الحديث .

وذلك رغبة مني في الإسهام في خدمة سنة رسول الله ﷺ في بلد الله الحرام .

وقد حددت الموضوع بالقرن الأول إلى القرن التاسع وذلك لإتاحة الفرصة لغيري من الباحثين في هذا المجال .

وقد قُسِّمَ البحث على النحو التالي :

مقدمة – وتمهيد – وأربع صور مصغرة كل واحدة منها تعبر عن واقع فترة زمنية معينة .

أما المقدمة فتشمل على سبب اختيار الموضوع وأهميته وخطة البحث .

وأما التمهيد /

– ففيه لمحة عن فضل مكة ، ومالها من مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ.

– وأما الصورة المصغرة الأولى من حياة المحدثين بمكة .

فقد شملت القرون الثلاثة الأولى ، وألممنا فيها بما كان لدار الأرقم بن أبي الأرقم من أثر والتي خرجت أعظم رجال عرفهم التاريخ .

وبعد منتصف القرن الأول استقر عبد الله بن عباس بمكة وأسس مدرسته التي أصبحت منارة للعلم وخاصة علمي التفسير والحديث .

وقد نهل من معينها أجيال متلاحقة ، وظل عطاؤها مستمراً إلى نهاية القرن الثالث .

– الصورة المصغرة الثانية من الحياة العلمية في مكة المكرمة .

تعتبر هذه الفترة فترة انحطاط وركود وذلك لأسباب : هجرة أهل مكة

عنها ، والخلافات بينهم ، وقوة دولة القرامطة واستهدافها لهم ، ورغبة الدول المجاورة في السيطرة على مكة .

– الصورة المصغرة الثالثة من حياة المحدثين بمكة المكرمة .

لقد تطورت الحياة العلمية في مكة المكرمة بعد ركود دام ردحاً من الزمن وأصبحت قبلة الرحلة لأصحاب الحديث فنتج عن ذلك كثرة الآخذين له من أهل مكة والوافدين عليها ، وقد ساعد على ذلك عدل الحكام وتشجيعهم للعلم ، وانتشر الحديث بين أفراد المجتمع من صغار وكبار ووجهاء وعبيد وغيرهم حتى أصحاب الحِرَف كالبزازيين والنجارين وبرز علماء أجلاء . نقلوا معارفهم إلى غيرهم .

– الصورة المصغرة الرابعة من حياة المحدثين بمكة .

وهي عن دور المدارس التعليمية بمكة والتي كان لها دور بارز في النهضة العلمية وتطورها وسأذكر عدة مدارس وأوضِّح ما قامت به من أدوار خلدت ذكرها .

* * *

تمهيد :

إن مكة المكرمة هي بلد الله الحرام – وبها بيته العتيق قبلة المسلمين ، وصح فيها عنه ﷺ من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري رضي الله عنه قال :

((رأيت رسول الله واقفاً على الحزورة[٣] فقال : ((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت))))[٤] .

وما دامت مكة بهذه المكانة من الفضل عند الله وعند رسوله ﷺ .

فتتحتم دراستها من قبل الباحثين خاصة من الناحية العلمية ، لسد ثغرة من الثغرات التي قد تخفى على الناظرين في ثقافة الأمة في هذا البلد وأن يؤدي كل منا جزءاً من الواجب الأدبي الذي تفرضه عليه محبته لهذا البلد المقدس ، ولما كانت لمكة هذه المكانة والمترلة التي لم تكن لغيرها من سائر البلدان ، وكان علم الحديث أهم علم ينبغي الاعتناء به بعد العناية بعلوم الكتاب العزيز ، كان من أهم الموضوعات التي ينبغي للباحث دراستها هي إبراز جهود العلماء في خدمة السنة المشرفة في مكة المكرمة ، فالمتتبع لتاريخ مكة في عصورها الزاهرة يجد أنها كانت تعج بأعلام المحدثين الذين كان لهم نشاط واسع في نشر علم الحديث ، والذين كانت الرحلة إليهم من جميع البلاد(٥) ، وكانت مكة المكرمة تحصل بها مناظرات علمية بين العلماء بسبب اجتماعهم في هذا المكان المقدس لأن ظروف الحج تهيئ لهم الاجتماع في هذا المكان ، ولا تتهيأ لهم بمكان آخر فالحاج لا يستقر بها غالباً بل يعود إلى بلده .

وقبل الخوض في تفاصيل الجهود العلمية التي بذلها العلماء لتعزيز المكانة العلمية لمكة المكرمة والتي سنتعرف على بعضها من خلال الصور المصغرة التالية لابد أن نذكر هنا وباعتزاز الدور الريادي الذي لعبته دار الأرقم بن أبي الأرقم في تطوير الحركة العلمية بمكة في بداية الدعوة ، فهذه الدار مثلت الجهد العلمي المبارك ، فهي أول مدرسة أنشأها رسول الله ﷺ .

فقد كانت منتدى يجتمع فيه المسلمون ، يعبدون الله سراً ، ويلقنهم النبي ﷺ الإسلام وأصوله ، ويتعهدهم بالتربية ، وكان من يريد الإسلام والتعليم يأتي إلى هذه الدار خفية خشية أن يناله أذى قريش ، وقد أدت هذه الدار خدمة جليلة للإسلام في أول عهده ، فقد كانت هذه الدار أعظم مدارس الدنيا ، وجامعاتها ، وخرجت أعظم رجال عرفهم التاريخ ، ولا تزال هذه الدار مفخرة خالدة للأرقم إلى يوم القيامة(٦) .

لقد حرص عدد من الصحابة رضي الله عنهم على سكنى مكة المكرمة، قال ابن حبان البستي[٧] رحمه الله ((ومن مشاهير الصحابة بمكة الذين كانوا قد استوطنوها وإن كانت الأسفار والغزوات والتجارات دفعتهم إلى الخروج منها ، سواء أدركتهم المنية بها أو بغيرها بعد أن كانوا بها رضوان الله عليهم أجمعين :

١ – عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان يقيم بالمدينة وبمكة زماناً ، فهو ممن قطن الحرمين معاً ، وله بها دور وأموال .

٢ – عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى قتله الحجاج بن يوسف في المسجد الحرام سنة اثنتين وسبعين ثم صلبه في ولاية عبد الملك بن مروان .

٣ – الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد الزهري ، واسم أبي الأرقم عبد مناف وهو الذي كان رسول الله ﷺ متخفياً في داره عند الصفا يوم دخل عليه عمر بن الخطاب فأسلم ، كنيته أبو عبد الله ، مات يوم مات أبو بكر الصديق .

٤ – عتاب بن أسيد بن العيص ، كنيته أبو محمد ، ولاه رسول الله ﷺ مكة وهو ابن ثماني عشرة سنة توفي يوم توفي أبو بكر الصديق .

٥ – خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي ، كنيته أبو سليمان . من المهاجرين سماه رسول الله ﷺ سيف الله عداده في أهل مكة توفي سنة (٢١هـ) .

٦ – أبو محذورة الجمحي ، اسمه سمرة بن مغيرة بن لوذان ، عندما قدم النبي ﷺ مكة يوم الفتح فرآه يلعب مع الصبيان يؤذن ويقيم ويسخر بالإسلام فرآه النبي ﷺ جهوري الصوت في حزونه ، وكان قد أدرك فدعاه وعرض عليه الإسلام فقبله وولاه الأذان بمكة ، وعلمه الأذان ، وألقاه عليه إلقاء ،

وأمره بالترجيع فيه ، وعلمه الإقامة ، فلم يزل أبو محذورة المؤذن في المسجد الحرام إلى أن مات سنة ثمان وخمسين[٨] ، وغير هؤلاء كثير . فقد ذكر ابن حبان ما يزيد على الستين من الصحابة الذين استقروا بها ولاشك أنهم نشروا بها علوماً جمة .

ومن أبرز علماء الصحابة الذين نشروا بها علوماً مختلفة في كل التخصصات حبر الأمة عبد الله بن عباس (٦٨هـ) وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً .

الصورة المصغرة الأولى من حياة المحدثين بمكة:

بدأت عندما جلس حبر الأمة عبد الله بن عباس سنة (٦٨هـ) بمكة ينشر بها علومه في مختلف الفنون ، قال عطاء بن أبي رباح ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس أكثرها فقهاً ، وأعظم خشية . وظل عطاء هذه المدرسة متواصلاً ، وأنجبت جيلاً قل أن يوجد له نظير منهم : عبيد بن عمير ، وعطاء ، وعكرمة ، وطاوس ، وعمرو بن دينار ، وابن جريج والفضيل بن عياض ، وسفيان بن عيينة ، والشافعي ، والحميدي ، وغيرهم .

فقد انتقل عبد الله بن عباس إلى مكة بعد أن كان والياً على البصرة من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وعندما قتل على بن أبي طالب استخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز ينشر ما عنده من علم جم في مختلف الفنون ، قال عطاء بن أبي رباح ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثرها فقهاً ، وأعظم خشية إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من وادٍ واسع[٩] .

ولم يقتصر نشاط عبد الله بن عباس على مكة فقط بل شمل المدينة المنورة والطائف التي مات بها ، وقد حمل عنه العلم سكان تلك المدن والوافدون عليها.

وممن تلقى العلم عن هذا الصحابي الجليل :

١ – عُبيد بن عمير الليثي (٧٤هـ) وكانت له حلقة في المسجد الحرام يعظ فيها الناس ، ويحدثهم بأحاديث الرقائق ، وكانت حلقته تعج بالناس ، وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ممن يحضر مجلسه ، ويبكي من شدة التأثر بوعظه ، ومات قبله .

قال ابن حبان : عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، قاص أهل مكة ومتعبدهم أبو عاصم مات قبل عبد الله بن عمر بن الخطاب(١٠) .

وكان من جملة الآخذين عن عبيد بن عمير من أجلاء علماء مكة المكرمة / عطاء بن أبي رباح (١١٤ هـ) ، وابن أبي مليكة ، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير ،وعكرمة مولى ابن عباس / ومجاهد بن جبر ويقال : بن جبير (١٠٤هـ) والأول أصح ، المكي ، أبو الحجاج القرشي المخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، ويقال : مولى ابنة عبد الله بن السائب ، ويقال : مولى قيس ابن السائب المخزومي .

روى عن ابن عباس ، فأكثر وأطاب ، كما يقول الذهبي . وعنه أخذ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله ابن عمر . وغيرهم .

وحدث عنه عكرمة ، وطاوس ، وعطاء ، وهم من أقرانه ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير والحكم بن عتيبة . عده ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل مكة وساق بسنده إليه قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة ،

وقال عبد السلام بن حرب ، عن خُصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد ، وبالحج عطاء ، وقال سلمة بن كهيل : ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله إلا هؤلاء الثلاثة : عطاء ، ومجاهد ، وطاوس ، ونقل الذهبي عن ابن سعد قوله مجاهد ثقة فقيه عالم كثير الحديث(١١) ، وقال ابن خراس : أحاديث مجاهد عن علي وعائشة مراسيل(١٢) .

ومن أعلام الحديث الذين نشروا العلم بمكة :

٢ – عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ) واسم أبيه أسلم ، القرشي الجمحي ، وقيل الفهري مولاهم ، أبو محمد المكي أحد الأعلام روى عن عتاب بن أسيد ، وعثمان بن عفان مرسلاً ، وسمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، ومعاوية ابن أبي سفيان ، والعبادلة الأربعة : عبد الله بن عمرو ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم .

روى عنه الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأيوب السختياني ، وابن جريج ، وأبو حنيفة والليث بن سعد وخلق ، روى له الجماعة ، ووثقه ابن معين، وأبو زرعة ، وانتهت إليه وإلى مجاهد فتوى مكة في زمانهما وأكثر ذلك إلى عطاء(١٣) .

قال عبد الله بن المؤمل عن عطاء كان يعلم الكُتّاب ، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث(١٤) ، ويكفي هذا الإمام فخراً شهادة عبد الله بن عباس له بالعلم فقد قال : يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء ، وروى الثوري عن عمرو ابن سعيد عن أبيه قال : قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء(١٥) .

٣ – ومن علماء الحرم الذين اشتهروا بنشر العلم بمكة من تلامذة ابن عباس وغيره من الصحابة . ابن أبي مليكة الإمام شيخ الحرم أبو بكر وأبو محمد

عبد الله بن عُبيد الله بن أبي مليكة (١١٧هـ) زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التيمي المكي الأحول قاضي مكة زمن ابن الزبير ، ومؤذن الحرم روى عن جده ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وطائفة .

وعنه عمرو بن دينار ، وأيوب ، وابن جريج ، وجرير بن حازم ، ونافع ابن عمر الجمحي ، والليث ابن سعد وخلق سواهم ، وكان إماماً فقيهاً حجة فصيحاً مفوهاً متفقاً على ثقته ، روى عنه أيوب قال : بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت أسأل ابن عباس(١٦) .

٤ – وجاء بعد ابن أبي مليكة الإمام الحافظ أبو الوليد ويقال أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٨٠ – ١٥٠ هـ) الرومي الأموي مولاهم المكي الفقيه صاحب التصانيف أحد الأعلام حدث عن أبيه ، ومجاهد بيسير ، وعطاء بن أبي رباح فأكثر ، وميمون بن مهران ، وعمرو بن شعيب ، ونافع ، والزهري وخلق كثير ، روى عنه السفيانان ، ومسلم بن خالد ، وابن علية ، وحجاج بن محمد، وأبو عاصم ، وروح ، ووكيع ، وعبد الرزاق وأمم سواهم .

قال أحمد بن حنبل : كان من أوعية العلم وهو وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أحداً أحسن صلاة من ابن جريج ، كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله ، ويقال إن عطاء قيل له من نسأل بعدك ؟ قال : هذا الفتى إن عاش يعني ابن جريج .

وقال يحى القطان : لم يكن ابن جريج عندي بدون مالك في نافع .

قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جريج ، وقال

عبد الوهاب بن همام قال ابن جريج لزمت عطاء ثمانية عشر عاماً ، وقال ابن حبان : كان من فقهاء الحجاز وقرائهم ، ومفتيهم ، وذكره الفاكهي في فقهاء مكة وأنه كان مفتيها بعد ابن أبي نجيح ، وذكره في عباد مكة ، فقال : وأما ابن جريج فذكروا أنه كان يحي الليل كله صلاة ، وقال أبو عاصم كان ابن جريج من العباد كان يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر وكانت له امرأة عابدة .

وقد لازم عطاء سنين عديدة للأخذ عنه . قال رحمه الله أقمت على عطاء إحدى وعشرين حجة يخرج أبواي إلى الطائف ، وأقيم أنا تخوفاً أن يفجعني بنفسه ، وكان من نتائج ذلك كثرة حديثه . فقد نقل الذهبي عن بعض الحفاظ : أن لابن جريج نحواً من ألف حديث يعني المرفوع .

أما الآثار والمقاطيع والتفسير فشيء كثير، وقد روي لهذا الإمام الجماعة ، ووثقه كثير من العلماء قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث جداً ، وقال ابن حجر ثقة فقيه فاضل ، وكان يدلس ويرسل .. ووصفه النسائي بالتدليس وكذلك الدارقطني ووصف تدليسه بأنه شر التدليس ، فقد قال : شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح لا يدلس إلا فيما سمع من مجروح ، وقال الذهبي الرجل في نفسه ثقة حافظ ، لكنه كان يدلس بلفظة (عن) (وقال) وكان صاحب تعبد وتهجد ، ومازال يطلب العلم حتى كبر وشاخ ، وقد أخطأ من زعم أنه جاوز المائة ، بل ما جاوز الثمانين ، وقد كان شاباً في أيام ملازمته لعطاء وكان شيخ الحرم بعد الصحابة : عطاء ، ومجاهد ، وخلفهما : قيس بن سعد، وابن جريج ، ثم تفرد بالإمامة ابن جريج ، فدون العلم وحمل عنه الناس، وعليه تفقه مسلم بن خالد الزنجي ، وتفقه بالزنجي الإمام أبو عبد الله الشافعي ، وكان الشافعي بصيراً بعلم ابن جريج ، عالماً بدقائقه ، وبعلم سفيان ابن عيينة، وروايات ابن جريج وافرة في الكتب الستة ، وفي مسند أحمد ، ومعجم الطبراني الأكبر ، وفي الأجزاء(١٧) ، وتتابعت جهود المحدثين في نشر العلم

بمكة المكرمة بعد منتصف القرن الثاني ، وكان من أشهر محدثي تلك الفترة نافع ابن عمر (١٦٩هـ) بن عبد الله بن جميل بن عامر بن جُذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح ، الحافظ ، الإمام الثبت ، الجمحي المكي .

حدث عن ابن أبي مليكة ، وأمية بن صفوان الجمحي ، وبشر بن عاصم الثقفي ، وعبد الملك ابن أبي محذورة ، وعمرو بن دينار ، وأبي بكر بن أبي شيخ السهمي ، وغيرهم .

وروى عنه : عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان ، ووكيع بن الجراح ، ويزيد ابن هارون ومحمد بن بشر ، وسريج بن النعمان ، وداود بن عمرو الضبي ، وخلق سواهم .

قال الذهبي : تكاثروا عليه لإتقانه ، وعلو إسناده . قال عبد الرحمن بن مهدي :

كان من أثبت الناس ، وروى أبو طالب عن أحمد : ثقة ثبت ، صحيح الحديث ، ووثقه ابن معين ، والنسائي وأبو حاتم ، وابن سعد ، وابن حبان ، وقال : مات بفخ(١٨) سنة تسع وستين ومائة وأمه أم ولد(١٩) .

٥ - ومنهم شيخ الحرم الإمام القدوة شيخ الإسلام الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم ، حدث عن منصور بن المعتمر ، وبيان بن بشر ، وعطاء ابن السائب ، وحميد الطويل ، وسليمان الأعمش ، ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

روى عنه : سفيان الثوري وهو من شيوخه ، وسفيان بن عيينة - وهو من أقرانه - وعبد الله بن المبارك - ومات قبله - والحميدي ، والقعنبي ، والإمام الشافعي ، وهارون الرشيد أمير المؤمنين ، وخلق(٢٠) .

قال ابن سعد : كان ثقة ثبتاً فاضلاً عابــداً ورعــاً كــثير الحــديث ، وقــال النسائي : ثقة مأمون .

وذكره خليفة بن خياط في الطبقة الخامسة من أهل مكــة ، وذكــره محمــد ابن سعد في الطبقة السادسة منهم .. وقال : ولــد بخراســان .. وقــدم مكــة وهــو كبير ، فسمع الحديث من المعتمر وغيره ، ثم تعبد وانتقل إلى مكــة ونــزل بهــا ، إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمــانين ومائــة في خلافــة هــارون الرشــيد . قــال الحافظ أبو بكر الخطيــب : حــدث عنــه ســفيان الثــوري ، والحــسين بــن داود البلخي، وبين وفاتهما مائة وإحدى وعــشرون ســنة ، وحــدث عنــه أبــو شــهاب الحناط ، وبين وفاته ووفات البلخــي ، مائــة وعــشر أو إحــدى عــشرة ســنة ، وحدث عنه : عبد الله بن المبارك ، وبين وفاته ووفــات البلخــي مائــة ســنة وســنة واحدة[٢١] .

روى له الجماعة ســوى ابــن ماجــه ، ووثقــه أبــو حــاتم ، والنــسائي ، والدارقطني .

قلت لهذا الإمام مواقف جريئة في الوعظ والإرشــاد فقــد ذكــر مترجمــوه حكاية طويلة في وعظه للخليفة هارون الرشيد فقــد وعظــه حــتى أبكــاه ، وكــان هارون الرشيد يقول بعد ذلك ما رأيت في العلمــاء أهيــب مــن مالــك ، ولا أورع من الفضيل ، وقال عبد الله بن المبــارك : رأيــت أعبــد النــاس ، وأورع النــاس ، ورأيت أعلم الناس ، ورأيت أفقه الناس . فأمــا أعبــد النــاس فعبــد العزيــز بــن أبي رواد ، وأما أورع الناس فالفضيل بــن عيــاض ، وأمــا أعلــم النــاس فــسفيان الثوري وأما أفقه الناس فأبو حنيفة ، ثم قال : مــا رأيــت في الفقــه مثلــه ، وقــال إبراهيم بن شماس عن ابن المبارك : ما بقي علــى ظهــر الأرض عنــدي أفــضل مــن الفضيل بن عياض ، وكان رحمه الله شــديد العبــادة صــحيح الحــديث ، صــدوق

اللسان ، شديد الهيبة للحديث إذا حدث ، وكـــان يثقـــل عليـــه الحـــديث جـــداً[٢٢] رحمه الله رحمة واسعة .

٦ - ومن أعلام المحدثين الذين لهم جهود في نـــشر الـــسنة المطهـــرة بمكـــة المكرمة العلامة الحافظ شـــيخ الإســـلام ســـفيان بـــن عيينـــة أبـــو محمـــد الكـــوفي (ت ١٩٨هـــ) محدث الحرم سمع : من عمرو بن دينـــار ، والزهـــري ، وعبـــد الله ابن دينار ، وإسماعيل بـــن أبي خالـــد ، وأبي إســـحاق الـــسبيعي ، ومنـــصور ابـــن المعتمر، وعبد الرحمن بن القاسم ، وأمم سواهم .

حدث عنه الأعمش ، وابن جـــريج ، وشـــعبة ، وغيرهـــم مـــن شـــيوخه ، وابن المبارك ، وابن مهدي ، والشافعي ، وأحمد بـــن حنبـــل ، ويحـــي بـــن معـــين ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن صالح ، وابـــن نمـــير ، وأبـــو خيثمـــة ، والفـــلاس ، والزعفراني ، ويونس بن عبد الأعلـــى ، وخلـــق لا يحـــصون ، فقـــد كـــان خلـــق يحجون والباعث لهم لقى ابن عيينة ، فيزد حمون عليه في أيـــام الحـــج ، وكـــان إمامـــاً حجةً حافظاً واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالـــك وســـفيان لـــذهب علم الحجاز ، وعن الشافعي قال : وجدت أحاديـــث الأحكـــام كلـــها عنـــد مالـــك سوى ثلاثين حديثاً وجدتها كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث .

قال عبد الرحمن بن مهدي : كان ابن عيينة من أعلم النـــاس بحـــديث أهـــل الحجاز ، وقال أحمد بن حنبل ما رأيت أعلـــم بالـــسنن منـــه ، وقـــال ابـــن المـــديني ما في أصحاب الزهري أتقن من ابن عيينة ، وقال العجلي : كـــان ابـــن عيينـــة ثبتـــاً في الحديث وحديثه نحو سبعة آلاف ولم يكن لـــه كتـــب ، وقـــال بهـــز بـــن أســـد : ما رأيت مثله ولا شعبة .

قال يحيى بن معين : هو أثبت النـــاس في عمـــرو بـــن دينـــار ، وقـــال أبـــو مسلم المستملي : سمعت سفيان يقول : سمعت من عمرو بن دينـــار مـــا لبـــث نـــوح في قومه ، يعني تسعمائة وخمسين سنة ، وقال أبو حـــاتم الـــرازي ســـفيان بـــن عيينـــة

إمام ثقة ، كان أعلم بحديث عمرو بن دينار من شعبة قال : وأثبت أصحاب الزهري ، هو مالك .

قال الذهبي كان سفيان مشهوراً بالتدليس .. إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة عنده[٢٣] .

وقال أيضاً اتفقت الأئمة على الإحتجاج بابن عيينة لحفظه وإمامته ، وقد حج سبعين سنة وكانت حجته الأخيرة سنة سبع وتسعين ومائة ، فلما كان بجمع وصلى استلقى على فراشه ثم قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً أقول كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت الله من كثرة ما أسأله . فرجع فتوفي في السنة الداخلة ، وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة[٢٤] .

٧ – بين سفيان بن عيينة وطلابه:

إن حفظ هذا الإمام وسعة علمه يجعلان منه قبلة لطلاب الحديث ، وهذا ما كان يحصل ، فقد كان كثير منهم يحج ، والباعث لهم على الحج لُقْي سفيان ابن عيينة فيحصل الزحام على بابه في فترة الحج وتحصل مواقف طريفة بينه وبين طلاب الحديث : من ذلك ما رواه الخطيب البغدادي بسنده إلى علي بن حرب قال : حدثني أبي قال : ((كنا في مجلس سفيان بن عيينة فضجر فقام من مجلسه . فقام إليه رجل من أقصى المجلس فقال : يا أبا محمد ، أنت غاية الناس وطَلبتهم ، وإن الرجل ليريد الحج وما ينشط إلا إلى لقائك . فجلس وأنشأ يقول :

خلت الديار فَسُدتُ غير مُسودِ ومن الشقاء تفردى بالسؤدد[٢٥]

وحين امتنع عن التحديث من كثرة ما كان يرد عليه من الطلاب

اقتحم عليه الطلاب الدار ودخلوها ، فلما وقع بصره عليهم قال : ((ويحكم دخلتم داري بغير إذني)) وقد حدثنا الزهري عن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((من اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقئوا عينه فلا قصاص ولا دية))[٢٦] .

فقالوا : ندمنا يا أبا محمد ، فقال : لقد حدثنا عبد الكريم الجزري عن عبد الله بن مغفل ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ ((الندم توبة)) [٢٧] فقالوا : قد حلفت أن لا تحدثنا وقد حدثتنا فحدثهم بحديث عبد الرحمن بن سمرة : ((من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه))[٢٨] فخرجوا من عنده ومعهم ثلاثة أحاديث[٢٩] .

ومن رجال الحديث والفقه الذين يشار إليهم بالبنان والذين كانت لهم حلقة تملأ أرجاء المسجد الحرام في مطلع القرن الثالث الهجري بمكة المكرمة .

٨ – الإمام العلم حبر الأمة أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الشافعي (ت ٢٠٤هـ):

ولد بغزة وحمل إلى مكة فنشأ بها ، وأقبل على العلوم فسمع الحديث بمكة على جماعة ، منهم سفيان بن عيينة ، وسعيد بن سالم القداح ، ومسلم بن خالد الزنجي ، فقيه مكة وأذن له في الإفتاء وهو دون العشرين سنة ، وحدث أيضاً عن عمه محمد بن علي ، وارتحل إلى المدينة ولازم بها الإمام مالك بن أنس مدة يأخذ عنه العلم ، وعن إسماعيل بن جعفر وخلق .

وعنه أحمد بن حنبل ، والحميدي ، وأبو عبيد ، والبويطي ، وأبو ثور ، والربيع بن سليمان المرادي ، والزعفراني ، وأمم سواهم .

قال إسحاق بن راهويه : قال لي أحمد بن حنبل بمكة : تعال أريك رجلاً

لم تر عيناك مثله فأقامني على الشافعي ، وقال أبو ثور : ما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى هو مثل نفسه ، ووثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وقال إسحاق ابن راهويه : الشافعي إمام ما أحد تكلم بالرأي إلا والشافعي أكثرهم اتباعاً وأقلهم خطأ ، وقال أبو داود : ما أعلم للشافعي حديثاً خطأ ، وقال أبو حاتم : صدوق . وصح عن الشافعي أنه قال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عُرض الحائط .

قال الذهبي رحمه الله كان حافظاً للحديث بصيراً بعلله لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده ، ولو طال عمره لازداد فيه(٣٠) ، وقال في موضع آخر عنه ، وإمامنا بحمد الله ثبت في الحديث ، حافظ لما وعى ، عديم الغلط ، موصوف بالإتقان ، متين الديانة ، فمن قال عنه بجهل وهوى ممن علم أنه منافس له ، فقد ظلم نفسه ، ومقته العلماء ، ولاح لكل حافظ تحامله ، وجر الناس برجله ، ومن أثنى عليه واعترف بإمامته واتقانه ، وهم أهل العقد والحل قديماً وحديثاً فقد أصابوا ، وأجملوا ، وهدوا ، ووفقوا(٣١) .

أما سبب التحامل على هذا الإمام من البعض فالدافع لصاحبه إنما هو التعصب المذهبي ، وقد رده الإمام الذهبي فقال : كنت وقفت على بعض كلام المغاربة في الإمام رحمه الله ، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرض إلى الإمام ، ولله الحمد ، ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر ، وخالف أقرانه من المالكية ، ووهن بعض فروعهم بدلائل السنة ، وخالف شيخه (مالكاً) في مسائل ، فتألموا منه ، ونالوا منه ، وجرت بينهم وحشة ، غفر الله للكل ، واعترف الإمام سحنون ، وقال : لم يكن في الشافعي بدعة ، فصدق والله ، فرحم الله الشافعي ، وأين مثل الشافعي والله في صدقه ، وشرفه ، ونبله ، وسعة علمه ، وفرط ذكائه ، ونصره للحق ، وكثرة مناقبه(٣٢) .

أقوال الشافعي في الجرح والتعديل :

لقد أثر عن هذا الإمام أقوال في الجرح والتعديل ، ومن ذلك توثيقه لبعض الناس وتجريحه للبعض الآخر .

نقل عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه قال : إني كنت أجالس محمد بن أدريس الشافعي بمكة ، فكنت أذاكره أسماء الرجال ، فقال : روينا عن عمر بن الخطاب عن أهل المدينة ، عن فلان بن فلان ، فلا يزال يسمى رجلاً ، رجلاً ، وأسمى له جماعة ، ثم يذكر هو عدداً من أهل مكة ، فأذكر له أنا جماعة منهم . فقال عبد الله : وكان أبي يصف الشافعي فيطنب ، وكتب عنه حديثاً صالحاً ، وكتبت من كتبه بخطه بعد موته ، أحاديث عدة مما سمعه من الشافعي رحمة الله عليهما .

وقال الشافعي : حدثنا مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة عن أبيه : أن أبا سعيد الخدري قال له : ((إني أراك تحب الغنم والبادية فذكر الحديث)) .

قال الشافعي : وأخبرنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت ((عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة)) قال : سمعت أبي – وكان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري – قال : قال لي أبو سعيد الخدري : أي بني ، إذا كنت في هذه البوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا يسمعه إنس ولا جن ولا حجر ولا شجر إلا شهد له)) [٣٣] هذا لفظ سفيان .

قال الشافعي : يشبه أن يكون مالك أصاب اسم الرجل [٣٤] . قال البيهقي قلت هو كما قال الشافعي وهو : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني الأنصاري المدني ، سمع أباه وعطاء بن يسار . روى عنه يزيد بن خصيفة ومالك . قال الدارقطني لم يختلف على مالك في

تسمية[٣٥] عبد الرحمن بن عبد الله .

ومن الأوهام التي أخذها الشافعي على شيخه مالك بن أنس التصحيف في بعض الأسماء من ذلك عمرو بن عثمان ، وعمر ابن الحكم ، وعبد الملك بن قُرير ، وجابر بن عتيك ، وعباد بن زياد من ولد المغيرة وإنما هو مولى المغيرة .

قال الشافعي : وهم مالك ، رحمه الله ، فقال : عباد بن زياد ، من ولد المغيرة بن شعبة وإنما هو مولى المغيرة بن شعبة[٣٦] .

قال المزي : عباد بن زياد المعروف أبوه بزياد بن أبي سفيان . روى عنه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، ومكحول الشامي ، قال مالك عن الزهري عن عباد بن زياد ، من ولد المغيرة بن شعبة ، وذلك معروف في أوهامه ، ونقل عن مصعب بن عبد الله الزبيري قوله : أخطأ فيه مالك خطأ قبيحاً حيث قال : عن عباد بن زياد من ولد المغيرة ابن شعبة ، والصواب : عن عباد ابن زياد عن رجل من ولد المغيرة بن شعبة ، وقال أبو الحسن بن البراء عن علي ابن المديني : روى ابن شهاب عن عباد بن زياد وهو مجهول ، لم يرو عنه غير الزهري ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٣٧] .

عمر بن عثمان بن عفان من الثالثة صوابه : عمرو تفرد مالك بقوله عمر[٣٨] .

عبد الملك بن قُرير قال الشافعي : الصواب عبد الملك بن قُريب[٣٩] . قال عنه الحافظ صدوق سني من التاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين وقيل غير ذلك[٤٠] .

قال البيهقي كذا قال : يحيى بن معين عبد الملك بن قُريب ، فالصحيح عن الشافعي أنه قال : إنما هو عبد العزيز بن قُريب[٤١] .

ونقل البيهقي عن ابن أبي حاتم تصويبه لقول الشافعي ، قال عبد الرحمن (بن أبي حاتم) فذكرت ذلك لأبي فقال : صدق الشافعي ، وهو كما قال قال أبي قال يحيى بن معين في عبد العزيز ابن قرير : هذا ليس عبد العزيز بن قُرير ، إنما هو عبد العزيز بن قُريب الأصمعي . قال قدم المدينة فجلس مالك فحدث عنه ، ولعله حدث عن شيخ عن ثابت ، فأسقط مالك الشيخ ، وقال عن ثابت نفسه . قال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : غلط يحيى بن معين ، وما يقوله الشافعي أشبه ، فإن عبد العزيز بن قُرير شيخ بصري ليس بالقوي عندهم قدم عليهم المدينة فحدثهم عن ثابت[٤٢] .

جابر بن عتيك ، وقال الشافعي وإنما هو جبر بن عتيك هذا هو الصواب اختلف في اسمه هل هو جابر أم جبر ، وقد رجح الحافظ ما ذهب إليه مالك ، فقال روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن عبد الله بن جابر عن عتيك ابن الحارث بن عتيك ، وهو جد عبد الله لأمه أن جابر بن عتيك أخبره أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب [فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه فاسترجع وقال : غُلبنا عليك يا أبا الربيع] . الحديث رواه أبو داود والنسائي من طريق مالك[٤٣] .

ورواه النسائي من طريق عبد الملك بن عمير فقال عن جابر عتيك .. وفيه اختلاف كثير ورواية مالك هي المعتمدة ، وذكر له عدة أحاديث وقال : هذه الأحاديث تبين أن اسمه جابراً .. وصحح الدمياطي أن اسمه جبراً وجزم غيره كالبغوي بأن جبراً أخوه وقد جزم ابن إسحاق وغيره بأن جبراً بن عتيك شهد بدراً[٤٤] .

عمر بن الحكم ، قال الشافعي : وإنما هو معاوية بن الحكم السلمي[٤٥] ، وقال المزي معاوية بن الحكم السلمي ، له صحبة وقيل : عمر بن

الحكم ، وهو وهم[٤٦] .

وقال الحافظ ابن حجر سماه مالك عمر بن الحكم ، وخالف فيه أكثر الناس[٤٧] ، وقال ابن الأثير : روى مالك عن الزهري عن هلال بن أسامة بإسناده عن عمر بن الحكم وهو[٤٨] وهم .

قال محمد بن إسحاق (بن خزيمة) سمعت المزني يقول : سمعت الشافعي يقول : وهم مالك في ثلاثة أسماء : قال : عمر بن عثمان ، وإنما هو عمرو بن عثمان .

وقال : عمر بن الحكم ، وإنما هو معاوية بن الحكم السلمي ، وقال : عبد الملك بن قُرير وإنما هو عبد العزيز قُرير ، وفي رواية أخرى عن إسماعيل بن يحيى المزني قال : سمعت الشافعي يقول : صحف مالك في عمر بن عثمان ، وإنما هو عمرو بن عثمان ، وفي جابر ابن عتيك ، وإنما هو جبر بن عتيك ، وفي عبد الملك بن قُرير ، وإنما هو عبد العزيز بن قُرير . قال عبد الرحمن : فذكرت ذلك لأبي فقال : صدق الشافعي ، هو كما قال .

قال أبي : قال يحيى بن معين في عبد العزيز بن قُرير : هذا ليس عبد العزيز ابن قُرير ، إنما هو عبد الملك بن قُريب الأصمعي[٤٩] .

ومن أقواله في الجرح والتعديل ما رواه عنه ابن عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : (الشعبي) في كثرة الرواية مثل عروة بن الزبير ، ويقول : في عطاء ليس في التابعين أحد أكثر اتباعا للحديث من عطاء ، ويقول عن الزهري لولا (الزهري) لذهبت السنن من المدينة ، ويقول عن مالك وسفيان : لولا مالك وسفيان لذهب علم أهل الحجاز ، ويقول : إذا وجدت (لمالك) حديثاً صحيحاً فشد به ، فإنه حجة ، ويقول : إذا ذكر العلماء فما لك النجم . كان (مالك) إذا شك في شيء من الحديث تركه كله .

وكان يقول مالك أستاذي ، وقيل له يا أبا عبد الله ، رأيت أحداً ممن أدركت مثل مالك بن أنس ، فقال أبو عبد الله الشافعي : سمعت من تقدمنا في السن والعلم يقولون : لم نر مثل مالك فكيف نرى مثله .

ومن أقواله في سفيان بن عيينة : ما أدركت أحداً من الناس فيه من آلة الفتيا ما في ((سفيان بن عيينة)) ، وما رأيت أحداً أكفّ عن الفتيا منه ، وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه[٥٠] .

وكان يقول عن الأوزاعي : ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من (الأوزاعي) ، وكان يقول : من أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك ، ومن أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة ومن أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان[٥١] .

اعترافه للإمام أحمد بالإمامة في الحديث .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني أبي قال : لنا الشافعي : أنتم أعلم بالحديث والرجال مني ، فإذا كان الحديث الصحيح فاعلموني ، إن شاء يكون كوفياً أو بصرياً أو شامياً ، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً ، وعلق على هذا النص البيهقي بقوله ، وهذا لأن أحمد بن حنبل كان من أهل العراق ، فكان أعلم برجالها من الذي لم يكن من أهلها ، وكان أحمد عند الشافعي من أهلها ، وكان أحمد عند الشافعي من أهل العلم بمعرفة الرجال فكان يرجع إلى قوله فيهم[٥٢] .

أقواله في التجريح :

فقد نقل عنه تجريح بعض العلماء من ذلك قوله في حرام بن عثمان لما سئل عنه .

قال : الرواية عن حرام بن عثمان حرام[٥٣] . ، وقال ابن الجوزي :

حرام ابن عثمان بن عمرو الأنصاري المدني روى عنه معمر . قال مالك ، ويحيى، والنسائي : ليس بثقة ، وقال ابن حنبل : ترك الناس حديثه ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال عمرو بن علي ، وعلي بن الجنيد : متروك الحديث .

وقال الشافعي ، ويحيى ، والسعدي : منكر الحديث ، يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل(٥٤) .

وقال حرملة : سمعت الشافعي يقول : حديث أبي [العالية الرياحي] رياح ، وحديث مُجالد يُجلد وحديث حرام حرام قال البيهقي إنما أراد الشافعي بقوله : حديث أبي العالية الرياحي رياح : حديثه في القهقهة وحده(٥٥) .

أما مُجالد الذي قال عنه الشافعي أنه يُجْلد : فهو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الكوفي ، ليس بالقوي وقد تغير بآخر عمره(٥٦) .

وقال عنه ابن حبان : يروى عن الشعبي وقيس بن أبي حازم ، روى عنه أهل العراق مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين ومائة في ذي الحجة ، وكان رديء الحفظ يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، لا يجوز الاحتجاج به .. ونقل كلام الشافعي فيه(٥٧) ، وقال البيهقي : قرأت في كتاب الغريبين في قول الشافعي : مُجالد يجلد أي يكذب قال : وقال أبو زيد الأنصاري : فلان يُجلد بكل خبر : أي يظن به .

وقال أبو حمزة : يقول الشافعي : ينبغي أن يكون يتهم . والله أعلم وضعه موضع الشر(٥٨) أي موضع التهمة .

ومن أقواله في التجريح قوله : في ((كثير بن عبد الله المزني)) ذاك ركن من أركان الكذب أو شر أركان الكذب(٥٩) .

وقال عن الواقدي وهو ((محمد بن عمر الواقدي)) الواقدي كذاب[٦٠] .

وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول : قال ((الحجاج بن أرطاه)) لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة . قال البيهقي وهذا إنما حكاه على وجه الذم لقوله[٦١] .

ومن علماء الحديث الذين عرفوا بنشر العلم بالبلد الحرام الإمام العلامة الحافظ :

٩ – أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي (ت ٢١٩هـ) أخذ العلم عن سفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض ، ومسلم بن خالد الزنجي ، وإبراهيم بن سعد ، وأبي ضمرة أنس بن عياض ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وغيرهم .

وعنه البخاري ، والذهلي ، وبشر بن موسى الأسدي ، ويعقوب بن سفيان الفسوي ، وأبو زعة وأبو حاتم وخلق[٦٢] .

لقد كان الحميدي أحد أئمة تلك المدرسة ، التي عرفت بمدرسة ابن عباس التي استمر عطاؤها من طبقة إلى أخرى ، حتى أنتجت سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد الزنجي ، وصاحبنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، وكان سفيان ابن عيينة ، شيخ الإسلام وحافظ العصر ، قال فيه الشافعي : ((لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز)) فمالك إمام دار الهجرة ، وسفيان الإمام العلم في مكة المكرمة ، وقد تتلمذ عليه الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وعدد كبير من طلاب العلم ورواد المعرفة ، لكن الذي تقدمهم جميعاً ، وأصبح أجل أصحابه ، وأجمعهم لحديثه ، وأكثرهم لأسلوبه وسننه ، هو أبو بكر الحميدي ، يؤيد ذلك

قول محمد بن عبد الرحيم الهروي ((قدمت مكة سنة (١٩٨هـ) ومات سفيان في أولها ، قبل قدومنا بسبعة أشهر ، فسألت عن أجل أصحاب سفيان بن عيينة ، فذكر لي الحميدي ، فكتبت حديث ابن عيينة عنه))[٦٣] .

وليس الحميدي أجل أصحاب سفيان فحسب ، بل هو أول أصحاب الشافعي أيضاً ، قال زكريا الساجي : ((قلت لأبي داود : من أصحاب الشافعي)) فقال : أولهم الحميدي ، وأحمد بن حنبل والبويطي[٦٤] .

ومما لاشك فيه بين العلماء أن هذا الإمام كان ذا مكانة عالية في الحفظ والإتقان ، والتثبت ، فقد قال فيه الشافعي ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من الحميدي كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث[٦٥] .

وقال أحمد بن حنبل : ((الحميدي عندنا إمام))[٦٦] وكذا قال البخاري[٦٧] ، وقال إسحاق بن راهويه : ((الأئمة في زماننا : الشافعي ، والحميدي ، وأبو عبيد))[٦٨] ، وقال ابن أبي حاتم أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي ، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة ، وهو ثقة إمام[٦٩] .

وقال الذهبي : في العبر : ((عالم أهل مكة .. وكان إماما حجة[٧٠] .

الإمام الحميدي ونقد الرجال وتعديلهم :

لقد عرف هذا الإمام في أوساط العلماء بأنه بصير بالجرح والتعديل . ومن ذلك ثناؤه على الإمام الشافعي حين وصفه فقال : ((سيد أهل زمانه))[٧١] .

وكان إذا جرى ذكر الشافعي عنده يقول : ((حدثنا سيد الفقهاء الإمام الشافعي[٧٢] ، وقال عن ربيعة الرأي ((كان حافظاً))[٧٣] . وكذا وصفه لمحمد بن المنكدر[٧٤] ، وكان الأئمة يستفيدون من رأيه في الرجال ، قال الإمام

البخاري : ((رأيت أحمد وعليا والحميدي، وإسحاق يحتجون بعمرو بن شعيب))[٧٥] .

وقال في شأن عبد الله بن محمد بن عقيل : ((رأيت أحمد بن حنبل وإسحاق ابن إبراهيم والحميدي يحتجون بحديثه))[٧٦] ولقد كادت درجة بعض الرواة تنحط عن درجة الاعتماد لولا أن الإمام الحميدي فتش أصوله فوجدها صحيحة . ففي رحلته إلى المدينة المنورة زار العالم المحدث عبد العزيز الدراوردي فسمع منه، ثم إن بعض أصحاب الحديث لامه في الابتداء به ، وبلغ الدراوردي ذلك .

فأخرج أصوله للحميدي ، قال الحميدي : ((فإذا هي كتب صحاح وأحاديث مستقيمة))[٧٧] .

قال الذهبي عن الدراوردي : ((حديثه في دواوين الإسلام الستة ، لكن البخاري روى له مقروناً بشيخ آخر وبكل حال فحديثه .. لا ينحط عن مرتبة الحسن))[٧٨] .

وللحميدي كلام في التعريف ببعض الرواة[٧٩] ، وولائهم[٨٠] ، وأصحاب الكنى منهم[٨١] وكان رحمه الله صحيح المعتقد شديداً على المبتدعة وأهل الأهواء، فكان إذا روى عن رافضي وصفه بذلك قبل أن يذكر اسمه فيقول : ((سمعت رافضياً يقال له زرارة بن أعين))[٨٢] وقال في عبد العزيز بن أبي رواد : ((كان يرى الإرجاء)) وللسبب نفسه تكلم في ابنه عبد المجيد[٨٣] ، وكانت له حاسية مُرهفة اتجاه المبتدعة فما إن سمع من بشر بن السرى الأفوه في قصته المشهورة معه – ما قد يفهم منه إنكار رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حتى صاح به ووثب – هو وأهل مكة – عليه فجعل يتنصل ويعتذر وهم يأبون تركه[٨٤] .

ونقلت عنه أقوال يُكْشَفُ بها عن ضعف بعض الضعفاء ، وتناقل المؤلفون في تاريخ الرجال ما وجدوه من أقواله[(٨٥)] .

أما أقواله في علوم الحديث فهي كثيرة تذكر بعضها ليُستدل به على البقية ، وهذه الأقوال تُنبئ عن عمق في فهم علوم الحديث ، وتشير إلى ريادة له تنبئ في هذا المجال ربما يعد بها من أول من أسس قواعده ، وبذلك يكون سابقاً للحافظ أبي محمد الرامهرمزي (ت : ٣٦٠هـ) مؤلف المحدث الفاصل ..

الذي عرف بأنه أول من كسا هذا العلم ثوب الشخصية المستقلة ، وألف فيه كتاباً مفرداً خاصاً به ، وجمع جملاً كانت متفرقة من مسائله[(٨٦)] .

ولئن ثبت أن كتابه النوادر تخصص في ذلك فإنه يكون به الحائز للأسبقية إلى التأليف المستقل في هذا الفن ، فمما أسسه من قواعد :

١ – وجوب توفر العلم باتصال سند الحديث والمعرفة بثقة رجاله لأجل أن يكون مقبولاً .

٢ – المعرفة بالرجال إما أن تكون مباشرة ، أو غير مباشرة ، فكل منهما مقبول ، فغير المباشرة شأنها كالشهادة على الشهادة[(٨٧)] .

٣ – صحة الاحتجاج بالحديث (المعنعن) عند المعرفة بثقة رجاله ، ومعرفة إدراك الرجل لمن نقل عنه وأما الثقة المدلس فيطرح ما دلس فيه ، ولا يمنع تدليسه من قبول بقية حديثه فيما صرح به .

٤ – عندما يغلب على ظننا صدق الراوي نقبل حديثه ، ولسنا مكلفين بالتفتيش عن الباطن لنتيقن بذلك ، واحتمالات وهم المحدث أو نسيانه أو كذبه مستبعدة كلها ، ما دامت دلائل الصدق ظهرت لنا وغلبت على ظننا[(٨٨)] .

٥ – الكاذب في الحديث لا تقبل روايته أبداً ، وربما ظهر ذلك بادعاء سماع من لم يدرك أو من أدركه ولم يسمعه ثم تبين كذب دعواه[٨٩] .

٦ – الخلل في العدالة والضبط موجبان لرد الرواية ، قال : ((الحديث الذي يجب عدم قبوله أن يكون في إسناده رجل غير رضا بأمر يصح ذلك عليه بكذب أو جرح في نفسه ترد بمثلها الشهادة ، أو غلط فاحش يشبه مثله وما أشبه ذلك))[٩٠] .

٧ – قبول ضبط الكتاب بثلاثة شروط :

أ – صيانته من النقص والزيادة . ب – عدم مخالفة الثقاة .

جـ – عدم قبول التلقين[٩١] .

٨ – إعمال الجرح في الراوي عند الاطلاع عليه ، ولو خفي على معدله الذي قبل روايته – ولا يضر ذلك بالمعدل لعدم اطلاعه على الجرح ، ولزوم رد روايته من قبل من اطلع على جرحه ، وذلك بشاهد يشهد – ويعدل – فتقبل شهادته ، ثم يشهد مرة أخرى – ولا يعدلُ – فلا تقبل شهادته[٩٢] .

٩ – رد رواية الذي يعرف بقبول التلقين في كل أحواله ، وأما من يعرف بغفلة وينبه إلى الخطأ في كتابه فيصلحه أو تصحيف فيُرجعه إلى صوابه فحديثه مقبول .

١٠ – إذا طرأ على الراوي تلقين – بعد ضبط سابق – فيطرح ما لقنه أخيراً فقط ، وأما السابق فيقبل لضبطه[٩٣] .

١١ – احتج لصحة ((المناولة))[٩٤] بحديث النبي ش حيث كتب لأمير السرية[٩٥] وقال : ((لا تقرأه حتى تبلغ كذا وكذا ..)) علقه البخاري وأبهم المحتج بقوله : ((احتج بعض أهل الحجاز)) وفسره الحافظ ابن حجر

بالحميدي ، وأنه قاله في ((النوادر))[٩٦] .

١٢ – إذا صح السند إلى رجل من أصحاب النبي ش فهو حجة وإن لم يسم ذلك الرجل[٩٧] .

١٣ – حثه على التثبت عند التحمل عن المحدث ، ويدل على ذلك أنه نهى عن سماع ((الموطأ)) من شخص كان يتسهل في السماع – بطريق العرض – على الإمام مالك رحمه الله ، وكان الموطأ يسمع عليه بهذه الطريقة ، لا بالسماع من لفظ مالك ، قال الإمام الحميدي : ((ابن قعنب كان يختار السماع على القراءة ، فلما لم يمكنه ذلك – ولم يتهيأ له – فأقل أحواله أن يتثبت في العرض على مالك فهذا نص صريح في تحري الإمام الحميدي وتثبته))[٩٨] .

١١ – ومن أعلام الحديث بمكة المكرمة من تلاميذ سفيان بن عيينة سعيد ابن منصور بن شعبة (ت ٢٢٧ هـ) الحافظ الإمام أبو عثمان المروزي، ويقال الطالقاني ثم البلخي المجاور صاحب السنن . سمع مالكاً ، وفليح بن سليمان ، والليث بن سعد ، وعبيد الله بن إياد ، وأبا معشر ، وأبا عوانة ، وطبقتهم .

روى عنه أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيى الزهلي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وروى البخاري أيضاً والترمذي ، والنسائي ، عن رجل عنه ، وروى عنه أيضاً ، محمد بن علي الصائغ المكي ((كتاب السنن))[٩٩] له وخلق .

أما توثيقه فقد أثر عن كثير من أهل العلم قال سلمة بن شعيب : ذكرت سعيد بن منصور لأحمد بن حنبل فأحسن الثناء عليه وفخم من أمره ، وقال أبو حاتم : ثقة من المتقنين الأثبات ممن جمع وصنف ، وقال حرب

الكرماني: أملى علينا نحواً من عشرة آلاف من حفظه[١٠٠] . ثم صنف بعد ذلك. وقال يعقوب بن سفيان : كان إذا رأى في كتابه خطأ لم يرجع عنه[١٠١] .

وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان ممن جمع وصنف وكان من المتقنين الأثبات ، وقال ابن قانع ثقة ثبت ، وقال الخليلي : ثقة متفق عليه ، ووثقه أيضاً مسلمة بن قاسم[١٠٢] وقال الحاكم أبو عبد الله : سكن مكة مجاوراً فنسب إليها ، وهو راوية سفيان بن عيينة وأحد أئمة الحديث ، له مصنفات كثيرة متفق على إخراجه في الصحيحين[١٠٣] .

ومن أعلام مدرسة الحديث بمكة المكرمة في أوائل القرن الثالث الهجري الحافظ الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الخلال محدث مكة (ت ٢٤٢ هـ) .

حدث عن أبي معاوية ، ووكيع بن الجراح ، ومعاذ بن هشام ، وخلق . ورحل إلى عبد الرزاق فأكثر ، وصنف وتعب في هذا العلم ، قال إبراهيم ابن أرُومَة : بقي اليوم في الدنيا ثلاثة ، الذهلي بخراسان ، وابن الفرات بأصبهان ، والحلواني بمكة .

روى له الجماعة سوى النسائي ، وإبراهيم الحربي ، وجعفر الطيالسي ، وابن أبي عاصم ، ومحمد بن إسحاق السراج ومُطَيَّن ، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ ، ومحمد بن محمد بن عقبة الشيباني ، وأبو بكر بن أعين ومات قبله ، وغيرهم .

قال يعقوب بن شيبة : كان ثقة ثبتاً[١٠٤] ، وقال أبو داود : كان عالماً بالرجال وكان لا يستعمل علمه ، وكان لا ينتقد الرجال ، وقال النسائي ثقة ، وقال داود بن الحسين البيهقي : بلغني أن الحلواني قال : إني لا أكفر من وقف في القرآن ، فتركوا علمه .

قال داود بن الحسين : سألت أبا سلمة بن شبيب عن علم الحلواني : فقال يرمي في الحش(١٠٥) .

قال أبو سلمة : من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر ، وقال أبو بكر الخطيب كان ثقة حافظاً ، ونقل عن أحمد بن عبد الرحمن البروي قوله سألت الحسن بن علي الحلواني فقلت : إن الناس قد اختلفوا عندنا في القرآن فما تقول ؟ فقال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ما نعرف غير هذا ، وقال ابن عدي له كتاب صنفه في السنن ، وقال الخليلي كان يشبه بأحمد في سمته وديانته(١٠٦) ، وقال ابن حجر ثقة حافظ(١٠٧) .

١٢ - ومن أعلام المدرسة الحديثية بمكة المكرمة في القرن الثالث شيخ الحرم والمسند الحافظ أبو عبد الله محمد بن يحيى العدني (٢٤٣ هـ) نزيل مكة المكرمة .

سمع سفيان بن عيينة ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وعبد الوهاب الثقفي ، وفضيل بن عياض ، ومروان بن معاوية ، ووكيع بن الجراح وغيرهم .

روى عنه مسلم ، والترمذي ، وابن ماجه ، وبقية بن مخلد ، وزكريا الساجي ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة الرازي ، وإسحاق بن أحمد الخزاعي روى عنه مسنده وغير هؤلاء ، وذكره ابن حبان في الثقات(١٠٨) ، وقال الحسن بن أحمد الليثي الرازي حج سبعين حجة ، قال : وبلغني أنه لم يقعد عن الطواف (ستين سنة) ووصفه الحافظ ابن حجر بالصدق فقال صدوق صنف المسند وكان لازم ابن عيينة لكن قال أبو حاتم : كانت فيه غفلة(١٠٩) .

لقد نشأ هذا الإمام بمكة المكرمة وكان تعليمه بها على يد شيوخ أجلاء، كانوا امتداداً لتلك المدرسة الأولى مدرسة ابن عباس في تربيتها

الصحيحة في الدرس وخارج الدرس ، فعن إسماعيل بن يحيى قال : ((رآني سفيان وأنا أمازح رجلاً من بني شيبة عند البيت وتبسمت فالتفت إلي فقال : تبتسم في هذا الموضع ؟ إن كان الرجل ليسمع الحديث الواحد فترى عليه ثلاثة أيام سمته وهديه))(١١٠) .

وكانوا يعلمونهم أدب الإنصات والاستماع للغير . قال معاذ بن سعيد الأعور : كنا عند عطاء ابن أبي رباح ، فحدث رجل بحديث ، فاعترضه رجل ، فغضب عطاء فقال ما هذه الأخلاق ؟ ما هذه الطباع ؟ والله إن الرجل ليحدث بالحديث لأنا أعلم به منه ، ولعسى أن يكون سمعه مني فأنصت إليه ، وأريه كأني لم أسمعه من قبل(١١١) .

ولم يكونوا ليهملوا الطاقات والقدرات عند الطلاب . فقد كانوا إذا رأوا عند بعض الطلاب ذكاء وإدراكاً يفوق به أقرانه يخصونه بميزة يتميز بها عن غيره ، قال أبو مجي الكناسي : ((كان مجاهد يصعد إلى غرفته ، فيخرج إلي كتبه فأنسخ منها)) (١١٢) .

وكان بعض الأساتذة يعرض خبراته وتجاربه في تحصيل العلم ليشحذ بذلك هممهم نحوه .

قال سفيان بن عيينة : ((كنت أخرج إلى المسجد الحرام فأتصفح الحِلَق ، فإذا رأيت مشيخة وكهولاً جلست إليهم ، وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان ثم ينشد :

خلت الديار فسدْتُ غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسؤدد(١١٣)

وبهذه التربية الفريدة صار الطالب يرقب حركات شيخه وسكناته ، مما جعل العدني يقول عن أحد شيوخه : ما رأيت بعد الفضيل أعبد من وكيع(١١٤):

هذا هو الجو الإيماني الذي تربى فيه العدني وقد انعكس إيجاباً عليه ، ويعتبر العدني والحميدي من أوائل من صنف المسانيد بمكة إلا أن مسند العدني إلى هذه الساعة لا يعرف عنه أي شيء ، وقد وصف بأنه كالنهر ، قال السماني : سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول : قرأت المسانيد كمسند العدني ، ومسند ابن منيع وهي كالأنهار(١١٥) .

وقد اشتهر هذا المسند من طريق تلميذه الإمام المقرئ المحدث أبي محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق الخزاعي المكي ، شيخ الحرم الثقة المتقن (ت ٣٠٨هـ)(١١٦) .

١٣ – ومن مشاهير علماء الحرم في القرن الثالث علي بن عبد العزيز المرزبان بن سابور الحافظ الصدوق أبو الحسن البغوي شيخ الحرم (ت٢٨٦هـ) صحب أبا عبيد القاسم بن سلام ، وروى عنه تواليفه : غريب الحديث ، وفضائل القرآن ، والطهور ، وغير ذلك .

وروى عن أبي نعيم ، وحجاج بن المنهال ، ومحمد بن كثير العبدي ، ومسلم بن إبراهيم الأزدي والقعنبي ، وعاصم بن علي ، وغيرهم .

وصنف (المسند) . حدث عنه ابن أخيه أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغوي ، قال أبو حاتم : كان صدوقاً . وسئل عنه الدارقطني فقال : ثقة مأمون ، وأما النسائي فمقته لكونه كان يأخذ على التحديث .

ولكن الذهبي اعتذر عنه وبرر ذلك بفقره فقال : ((ولاشك أنه كان فقيراً مجاوراً))(١١٧) .

ومن أئمة الحرم الذين كانت لهم حلقة علمية فيه .

١٤ – المفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل بن سعيد بن عامر بن شراحيل الشعبي أبو سعيد الجندي (ت ٣٠٨هـ) نزيل مكة ، ومؤلف

((فضائلها)) حدث عن عبد الرحمن محمد الصنعاني ، ابن أخت عبد الرزاق بن همام الصنعاني [بسنن قرة] عن علي بن زياد اللحجي عنه ، وعن أبي حمة محمد بن يوسف الزبيدي ، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ، وإبراهيم بن محمد الشافعي ، وسلمة بن شبيب النيسابوري وغيرهم .

حدث عنه غير واحد منهم : الطبراني ، وابن حبان ، وابن عدي ، والمقري .

وقال : قدمت مكة أيام ابن أبي ميسرة ، ولأبي سعيد الجندي حلقة في المسجد الحرام .

وقال أبو علي النيسابوري : هو ثقة(١١٨) .

هذا هو حال مكة خلال هذه الفترة المزدهرة التي كانت فيها مكة تعج بالعلماء وطلبة العلم إلا أن الأحوال تبدلت وتغيرت وسنعرف ذلك في الصورة التالية .

الصورة المصغرة الثانية من حياة المحدثين بمكة المكرمة :

وتمثل هذه الفترة فترة انحطاط وركود وذلك لعدة أسباب : منها هجرة أهل مكة عنها ، والخلافات الداخلية ، وقوة دولة القرامطة واستهدافهم لمكة ، ورغبة الدول المجاورة لمكة في السيطرة عليها . ولم يبرز خلال هذه الفترة محدث كبير بمكة وإنما ظهر بعض طلبة العلم .

إن الدارس للحياة العلمية بمكة المكرمة بعد القرن الثالث يلحظ بعض التغير في الوضع عما كان عليه من قبل . فبعد أن كانت حلقات العلم بالمسجد الحرام تغص بطلاب العلم وأساتذته ، وقع تراجع في القرن الرابع وفتر النشاط العلمي ودب إليه الوهن ، وذلك راجع إلى تفرق أعلام مكة في الأمصار ، وظل الوهن على تلك الحال طيلة القرن الرابع والخامس والسادس من

الهجرة ، ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف الفتن ، والاضطرابات ، وقوة سلطان القرامطة ، واعتراضهم قوافل الحجيج ، فبعد أن استفحل أمر القرامطة وقويت شوكتهم ، وكان من قوادهم أبو سعيد الذي أقلقت فتوحاته العباسيين في عهد المعتضد ثم ابنه أبو طاهر القرمطي(١١٩) الذي وصفه المؤرخون بالطغيان ، وذكروا أنه انتهك حرمات الله ، ونهب قوافل الحجاج(١٢٠) .

وقد سار أبو طاهر بجيشه إلى مكة لانتزاعها من عامل العباسيين فانتهى إليها في (٧) ذي الحجة من عام (٣١٧ هـ) فخرج إليه أمير مكة يومها ابن محارب في جماعة من الأشراف يسألونه أموالهم ، فلم يشفعهم فقاتلوه فهزمهم ، ووضع سيفه في الطائفين والمصلين والمتفرقين في مكة وشعابها ، وصاح به الناس أتقتل جيران الله فقال : ليس بجار من خالف أوامر الله ، وظل كذلك حتى قتل ما يربوا على ثلاثين ألفاً دفن كثير منهم في بئر زمزم .

كما دفن بعضهم في المسجد الحرام .. ونهب جيشه أموال الحجاج وأهل مكة ، وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب ، والحافظ أبو الفضل محمد ابن الحسن الجارودي أخذته السيوف وهو متعلق بباب الكعبة .. وركض أبو طاهر شاهراً سيفه راكباً فرسه ، ودخل المطاف وبالت فرسه وراثت ، وأقام بمكة أحد عشر يوماً ، وفي ١٤ ذي الحجة خلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به إلى بلاده هجر وبقى موضعه يضع فيه الناس أيديهم للتبرك نحو اثنين وعشرين سنة ثم أعاده القرامطة بعد ذلك(١٢١) .

ومن العوامل التي أثرت سلباً على الحياة العلمية بمكة توالي الفتن والاضطرابات على البلد الحرام فعندما قامت دولة الفاطمية بمصر امتد سلطانها فشمل بلاد الحجاز فقطعت الخطبة للعباسيين ، وخطب بالحرم لصاحب مصر . ثم حدثت بعد ذلك معارك بين جيوش العباسيين – الذين حاولوا استرجاع نفوذهم في مكة – وجيوش الفاطميين الذين أرادوا إبقاء سيطرتهم عليها ، تلك

الفتن والاضطرابات جعلت مكة المكرمة بلاداً غير آمنة ولا مستقرة ، مما حمل بعض أهلها على النزوح عنها ، وزهد فيها من أراد المجاورة ، فضعفت حركة النشاط العلمي عامة والحديثي خاصة ، إلى قيام دولة الأيوبيين سنة (٥٦٧هـ) [١٢٢] .

وهذه الدولة كانت الناحية العلمية فيها ضعيفة ، فقد قل الاهتمام بالعلم ، ولم يلمع في مكة إلا بعض الأفراد كانت بيوتهم تتخصص في طلب العلم وتتوارث الخطب والإمامة في المسجد الحرام ، ومن أشهر هذه البيوت في أواخر العهد الفاطمي في القرن السادس بيت الطبري ، وقد هاجر أجدادهم في العهد العباسي ثم ما لبث الأحفاد أن عادوا إلى مكة واشتهر منهم في القرن السادس رضي الدين[١٢٣] بن أبي بكر ، وظل أحفاد هذا البيت يخدمون العلم في مكة إلى أن انقرضوا في القرن الثالث عشر[١٢٤] .

ولم يكن بمكة في عهد الأيوبيين من لهم شهرة علمية كبيرة ، واقتصر النشاط العلمي في تلك الفترة على ما يلقيه المدرس في المسجد الحرام أو البيت أو المدرسة ، وعلى سماع بعض الكتب عليه .

هذه هي الحالة العلمية في العصر الأيوبي فهي تعبر عن ركود كامل ، وزهد في العلم من قبل طالبيه ، ولعل السبب في هذا كثرة الخلافات الداخلية بين الأشراف في مكة ، وإلى تنازع السيادة الخارجية على مكة من قبل الأيوبيين من جهة واليمنيين من جهة أخرى ، وإلى قلة الوافدين إلى مكة والمجاورين فيها في ذلك العصر بسبب الحروب الصليبية، وحروب التتار في العراق والشام[١٢٥] .

وسأذكر بعض الأمثلة لمن عني بهذا الشأن سواء كان ذلك الاعتناء تدريساً أو تأليفاً معتمداً في ذلك بعد الله تعالى على ما ذكره تقي الدين الفاسي في العقد الثمين .

١ – مبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد البغدادي أبو محمد ، المعروف بابن الطباخ الحنبلي إمام الحنابلة بالمسجد الحرام المتوفي (٥٧٥هـ) سمع دلائل النبوة للبيهقي علي أبي الحسين عبد الله بن محمد بن الحافظ أبي بكر ابن أحمد بن الحسين البيهقي ، عن جده مؤلفه ، وحدث بتاريخ مكة للأزرقي عن أبي طالب العشاري إجازة ، وخرج وكتب بخطه .

روى عنه أبو سعد السمعاني مع تقدمه – والموفق بن قدامة ، وغير واحد[١٢٦] .

٢ – على بن حميد بن عمار الأطرابلسي المكي (٥٧٦هـ) حدث بصحيح البخاري سنة (٥٧١هـ) وروى منه جماعة[١٢٧] .

٣ – عمر بن عبد المجيد بن عمر العبدري المعروف بالميانشي[١٢٨] (٥٨٣ هـ) نزيل مكة المكرمة وشيخها وخطيبها ، حدث بمصر وبمكة ، وروى عنه خلق كثيرون ، من مؤلفاته إيضاح مالا يسع المحدث جهلة ، والروضة في الرقاق ، والمجالس المكية . قال الفاسي رحمه الله ، وقد روى فيه أحاديث باطلة وسكت عليها لشهرة رواتها بالكذب[١٢٩] .

٤ – محمد بن عبد الله بن الحسين الهروي[١٣٠] ((كان حيا سنة ٥٩٠هـ)) ، وكان إمام الحنابلة بالحرم الشريف ، حدث بمكة بالكثير من مروياته[١٣١] .

٥ – محمد بن أحمد بن الحسن السجزي ، أبو عبد الله المكي المقرئ (كان حيا سنة (٥٩٦هـ) ، حدث بالحرمين ، وجاور بمكة ومات بها[١٣٢] .

٦ – محمد بن علوان بن هبة الله التكريتي الحوطي (٦٠٣هـ) ، جاور بمكة أكثر من خمسين سنة وحدث بها وكان إمام مقام إبراهيم عليه السلام بالحرم الشريف[١٣٣] .

٧ – عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي (٦٠٩هـ) ، والد المؤرخ ابن خلكان سمع بمكة وجاور بها سنين وحدث بها[١٣٤] .

٨ – محمد بن إسماعيل بن علي اليمني المعروف بابن أبي الصيف (٦٠٩هـ) ، حدث عن ابن عمار الأطرابلسي بصحيح البخاري وعن البطليوسي بصحيح مسلم ، وعن الميانشي بجامع الترمذي ، وسمع من جماعة آخرين بمكة . وحدث ودرس ، وأفتى كثيراً . وله نكت على التنبيه مفيدة ، ومجاميع حديثية ، منها : أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة ، وفضائل شعبان ، وفضائل أهل اليمن – وكان عالى الإسناد ، وأكثر أسانيد أهل اليمن تنتهى إليه[١٣٥] .

٩ – نصر بن محمد بن علي النهاوندي ثم البغدادي ، المعروف بابن الحصري المتوفي (٦١٩هـ) ، كان من حفاظ الحديث العارفين بفنونه ، متقناً ضابطاً ، غزير الفضل متفنناً ، كثير المحفوظ ، استوطن مكة وأم بالحرم بمقام الحنابلة ، وأقرأ وحدث بها[١٣٦] .

١٠ – علي بن أبي بكر بن محمد الطبري (٦٤٠هـ) ، سمع صحيح البخاري وجامع الترمذي وغيرهما سمع منه المحب الطبري[١٣٧] .

١١ – جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر الصقلي (٦٤٤هـ) ، المقرئ الفقيه المحدث ، نزيل مكة روى عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي بالمدرسة المنصورية بمكة سمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي[١٣٨] .

١٢ – أبو بكر عمر بن شهاب الهمذاني (٦٤٧هـ) ، نزيل مكة سمع منه بمكة الحافظ شرف الدين الدمياطي ، برباط خانون[١٣٩] بالمسجد الحرام فضائل العباس لحمزة السهمي[١٤٠] .

هؤلاء أبرز من ذكرهم تقي الدين الفاسي ، وذلك لندرة وجود حفاظ كبار في الحديث في تلك الفترة .

إلا أن مكة نهضت لاحقاً وبرز فيها علماء أجلاء كبار كما سيأتي في الصورة المصغرة التالية .

الصورة المصغرة الثالثة من حياة المحدثين في مكة المكرمة من سنة (**٦٤٨ – ٧٨٤هـ**):

تعتبر هذه الفترة فترة ذهبية فقد أصبحت مكة قبلة الرحلة لأصحاب الحديث وكثر الاهتمام برواية الحديث من جميع أفراد المجتمع. وبرز علماء يشار إليهم بالبنان أمثال : محمد بن يوسف بن مسدي ، والقسطلاني ، والطبري وغيرهم .

تعتبر هذه الفترة من أزهى العصور العلمية بمكة المكرمة ، فقد كانت جهود العلماء بارزة وانتشر العلم وأصبحت مكة قبلة لأصحاب الرحلة في طلب الحديث ، وبرز بها بعض المشاهير الذين أحيوا النشاط العلمي ودفعوه إلى الأمام فنتج عن ذلك كثرة الآخذين لهذا العلم من جميع فئات المجتمع المكي والوافدين عليها ، وقد ساعد على ذلك ما حصل من الأشراف في هذه الفترة من العدل وتشجيع العلم ، وسنذكر هنا بعض العلماء الذين برزوا في مجال الحديث :

١ – محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزدي الأندلسي الغرناطي الشهير بابن مسدي[١٤١] ، كنيته : أبو بكر ، وأبو المكارم . ولقبه جمال الدين . نزيل مكة وخطيبها ، وإمام المقام الشريف ولد يوم عيد الأضحى سنة (**٥٩٩هـ**) بوادي آشي[١٤٢] من الأندلس ، قرأ على جماعة ، منهم قاضي الجماعة بقرطبة أبو القاسم بن بقى المخلدي ، وجماعة بالمغرب ، ثم رحل بعد العشرين وستمائة ، فسمع بالثغر من محمد بن عمار وغيره ، وبمصر من الفخر الفارسي وأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي ، وأبي الحسن ابن المقير وأكثر عنه ، وجماعة بمصر ، وبدمشق من أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ وغيره ، ومن أبي البركات عبد الرحمن بن عبد اللطيف

الصوفي ، وجماعة بمكة ، وأجازه جماعة من شيوخها .

وروى عنه جماعة من الأعيان ، منهم : أبو اليمن بن عساكر ، وأبو عبد الله بن النعمان والعفيف بن مزروع ، والحافظ الدمياطي ، والرضي الطبري ، وجماعة كثيرون ، وكتب عنه الرشيد العطار ومات قبله ، قال الفاسي : وذكره جماعة من الحفاظ ، ووصفوه بالحفظ ، منهم : منصور بن سليم الهمداني ، وقال : كان حافظاً متقناً ، وقال الذهبي : ((كان من بحور العلم ومن كبار الحفاظ : له أوهام وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه)) .

وذكره ضمن من يعتد به في الجرح والتعديل(١٤٣) ، وقال الشريف أبو القاسم الحسيني :

((كان فاضلاً ، حسن المعرفة بالصناعة الحديثية)) ، وقال القطب الحلبي : ((كان يميل إلى الاجتهاد ويؤثر الحديث)) (١٤٤) .

ولم يسلم هذا الإمام من الانتقاد فقد انتقد بأمور منها :

١ – أنه كان يتشيع ، فقد نظم قصيدة نحواً من ستمائة بيت ، نال فيها من الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان وذريته ، وكان يداخل الزيدية بمكة ، وتكلم في السيدة عائشة(١٤٥) وهذا أعظم ما رمي به .

حرصه على أخذ الأجرة على التحديث ، فقد ذكره ابن رشيد في رحلته فقال فيما ذكر من أخبار الذين لقيهم بالمدينة المنورة . وقال : أخبرني أبو إسحاق (إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن يحيى الفاسي(١٤٦)) أنه سمع الموطأ ، رواية يحيى بن يحيى الليثي على ابن مسدي وأجازه ، وأخبرني أنه لما جاء يسمع عليه الموطأ قال له لزمتني يمين أني لا أسمعه إلا بعشرة دنانير عينا ، فقلت له : لو جعلت على الناس في سماعه عشرة فلوس لزهدهم فيه ، ولم يكن عندي ما أعطيه ، فجاء بعض بني الدنيا ليسمعه عليه فبعث ابن مسدي إلى فسمعته معه ،

قال ابن رشيد وهذه جُرحة ، إلا أن تأول عليه أنه قصد بذلك تنفيق العلم ، فالله أعلم . فقد كان الرجل معروفاً بالدين والفضل .

ما ذكره أبو حيان الأندلسي قال : أخبرني شيخنا الناقد أبو علي بن أبي الأحوص ، أن بعض شيوخهم عمل أربعين حديثاً ، فأخذها ابن مسدي ووصل بها أسانيده وادعاها[١٤٧] .

وهذه الحكاية ردها الحافظ ابن حجر رحمه الله . فقال ليس هذا بقادح في صدقه ، وإنما يعاب بأنه أوهم في أنه خرجها وتعب في تخريجها ولو كان أدعى السماع منها لما لم يسمع لكان كذاباً وحاشاه من ذلك[١٤٨] .

وقال الذهبي : ((ورأيت بعض الجماعة يضعفونه في الحديث)) [١٤٩] .

وعلى كل حال فإن ابن مسدي حافظ كبير من حفاظ الحديث المتقنين وله أوهام كغيره من العلماء وأعظم ما نقم عليه تشيعه وبدعته ، وقد توفي رحمه الله مقتولاً غيلة ، مقطوع اللسان بمنزله بمكة سنة (٦٦٣هـ) ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه كان في لسانه زهو قل أن ينجو منه أحد[١٥٠] .

مؤلفاته :

ترك هذا الإمام مؤلفات عديدة نافعة منها :

١ – الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة[١٥١] .

٢ – معجم الشيوخ في ثلاث مجلدات كبار[١٥٢] .

٣ – (إعلام الناسك بأعلام المناسك) و(محرر الائتلاف بين الإجماع والخلاف) ، ذكر فيه المذاهب الأربعة وغيرها من الخلاف العالي ، وخلاف بعض الفرق كالزيدية والإمامية[١٥٣] .

٤ – الفوائد المسلسلات[١٥٤] .

٥ – الأربعون حديثاً خرجها للشيخ عفيف الدين منصور بن منعة البغدادي (٦٤٤هـ)[١٥٥] وله غير ما ذكر من خطب ونظم .

٢ – محمد بن أحمد بن علي بن محمد القيسي القسطلاني[١٥٦] المكي الشافعي[١٥٧] ، كنيته : أبو بكر ولقبه قطب الدين ولد بمصر في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة (٦١٤هـ) .

وحمل في موسم الحج سنة تسع عشرة (٦١٩هـ) إلى مكة فنشأ بها .

سمع جامع الترمذي من أبي الحسن بن البناء ، ومن أبي طالب عبد المحسن ابن أبي العميد الحقيقي إمام مقام إبراهيم بمكة أربعين عبد المنعم الفراوي[١٥٨] عنه ، وعلى الشيخ شهاب الدين السهروردي كتابه المعارف في التصوف ثم ارتحل فسمع بدمشق ، وبغداد سنة (٦٥٠هـ) من إبراهيم ابن أبي بكر الزغبي ، وأبي السعادات عبد الله بن عمر البنديجي ، وفضل الله عبد الرزاق الجيلي ، وموهب بن أحمد الجواليقي ، وسمع بالكوفة ، ومنبج ، وحران ، وحمص ، والمعرة ، والقدس ، ومصر ، والمدينة ، واليمن ، وعنى بهذا الشأن فكان فيه من ذوي الحفظ والاتقان .

وبدأ بالإفتاء سنة (٦٣٣هـ) ، وحدث بكثير من مسموعاته ، وبعض تآليفه حدث في سنة (٦٤٩هـ) إلى وفاته فسمع عليه جماعة منهم شقيقه تاج الدين والمعين الدمشقي ، والزين النابلسي ، ورفيقة الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وأبي الفتح بن سيد الناس ولقيه ابن رشيد حين زار مكة المكرمة فقرأ عليه كتابه مختصر العقيدة سماع (لسان البيان) .

في اعتقاد الجنان[١٥٩] : ومازال هذا الإمام يترقى في العلم وترتفع منزلته بين أقرانه حتى إن ابن سيد الناس قال في جواب مسائل سئل عنها من قبل الدمياطي ، ومن جملتها سؤاله عن أحفظ من لقيه ، فقال : ((وأما السؤال عن أحفظ من لقيت ، فأولاهم في التقديم والتعظيم : الشيخ الإمام قدوة

الناسكين، عمدة السالكين ، قطب الدين ، بقية العاملين[١٦٠])) ، ووصفه القطب الحلبي بالحفظ والإمامة فقال : ((كان إماماً ، عالماً ، محدثاً حافظاً ، مفتياً، ثقة ، حسن الأخلاق ، سخياً ، عفيفاً ، مكرماً للواردين عليه ، حسن الاستماع لما يقرأ عليه ، كثير السعي في حوائج الناس)) [١٦١] .

وفي سنة (٦٦٥هـ) بعد وفاة أخيه التاج علي بن أحمد القسطلاني[١٦٢] شيخ دار الحديث بالمدرسة الكاملية[١٦٣] بالقاهرة طُلب لمشيختها ، فوليها حتى مات في المحرم سنة (٦٨٦هـ) ، وشهد جنازته خلق كثير وكان قد ولي قضاء مكة في سنة (٦٤٥هـ) فتوقف ، وفضائله أكثر من أن تحصر قال فيه الأديب ناصر الدين أبو علي شاورطر خان الكناني المعروف بابن النقيب ، لما توجه إلى القاهرة بعد وفاته أخيه التاج

اشتوحشت مكة من قطبها   واستأنست مصر به والديار

شيخ شيوخ الحرم المقتدى   برأيه عند الأمور الكبار

فياله من قطب مدار العلا   عليه ، والقطب عليه المدار[١٦٤]

من آثاره العلمية :

١ – المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع[١٦٥] .

٢ – مختصر في الأسماء المبهمة في الحديث[١٦٦] .

٣ – ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة[١٦٧] ، وله غير ذلك .

٣ – أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الطبري الشافعي[١٦٨] ، كنيته أبو جعفر وأبو العباس ، ولقبه محب الدين سمع بمكة ، وقرأ على أبي الحسن بن

المقير البغدادي سنن أبي داود ، وسنن النسائي ، علي أبي الحسن ، علـي بـن أحمـد اليزدي ، عن الدوني ، والوسيط للواحـدي ، سماعـاً وقـراءة علـى أبي الفـضل ، وبعض الجمع بين الصحيحين للحميـدي ، قـراءة لبعـضه ، وبعـض الغريـب لأبي عبيـد القاسـم بـن سـلام . سماعـاً لبعـضه عـن شـهدة ، والفـصيح لثعلب ، وغير ذلك ، وعلى عبد الرحمن بن أبي حرمـى أول صـحيح البخـاري إلى قصة كعب بن مالك ، وعلى عمـى أبيـه تقـي الـدين ويعقـوب ابـني أبي بكـر البخاري أيضاً ، وعلى يعقوب بن أبي بكـر الطـبري : جـامع الترمـذي ، وعلـى شرف الدين أبي الفضل المرسى : صحيح مـسلم ، وصـحيح ابـن حبـان ، وعلـي أبي الحسن بن الجميزي الأربعين الثقفية ، والأربعين البلدانيـة أيـضاً ، وعلـى ابـن العديم وريحان الشر في جزء الأنصاري ، وسمعـه أيـضاً علـى الـنجم التبريـزي ، وغيرهم كثير ، وأجاز له خلق ببغداد والشام ومصر .

وقد سمع من المحب غير واحد من الأعيان منهم : المحـدث أبـو محمـد عبـد الله ابن عبد العزيز بن عبد القـوي المهـدوي ، وولـده جمـال الـدين ، وحفيـده نجم الدين سمع عليـه سـنن أبي داود وتفقـه عليـه ، كمـا سمـع عليـه الحـافظ الدمياطي ، وعلاء الدين العطار الدمشقي ، وعلم الدين الـبرزالي ، وقطـب الـدين الحلبي ، وأبو حيان النحوي ، والقاضـي نجـم الـدين الطـبري ، وجمـع كـثير ، آخرهم وفاة عثمان بن الصفى الطبري ، وبين وفاته ووفـاة المهـدوي مائـة سـنة ، فإن المهدوي توفي سنة (٦٤٩هـ) ، وأجاز لجماعة آخـرين ، وكتـب إلى الإمـام الذهبي بمروياته(١٦٩) .

وقد أثنى على هذا الإمام جمع من العلماء قـال عنـه ابـن عـساكر : ((لم أر المحب في وقت من الأوقات إلا في عمل : من صـلاة أو طـواف ، أو دعـاء ، أو تعليم علم ، أو تصنيفه أو نحو هذا)) .

كما وصفه ابن مسدي : ((بالإمام الأجل قطب الشريعة)) وقال البرزالي ((شيخ الحجاز واليمن)) .

أما الذهبي فقد وصفه بشيخ الحرم ، الفقيه الزاهد المحدث ، ثم قال : ((وكان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز)) وقال العلائي ((ما أخرجت مكة بعد الشافعي مثل المحب الطبري)) [١٧٠] ، وقال القطب الحلبي : ((لم يكن في زمانه مثله في الحرم المكي)) .

قلت ورغم هذه المكانة العلمية الرفيعة فلم يسلم من الانتقاد ، فقد ذكر أبو حيان : أنه وقع له في القسم الأول من الأحاديث العوالي التي خرجها لنفسه وهو التساعي ، وهم فاحش ، وهو إسقاط رجل من الإسناد ، حتى صار له الحديث تساعياً في ظنه ، وله تواليف حسنة في فنون العلم ، إلا أنه وقع له في بعض كتبه الحديثية شيء لا يستحسن ، وهو أنه ضمنها أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضائل الأعمال ، وفضائل الصحابة رضي الله عنهم ، من غير تنبيه على ذلك ، ولا ذكر إسنادها ليعلم منه حالها ، وغاية ما صنع ، أن يقول : أخرجه فلان ، ويسمى الطبراني مثلاً أو غيره من مؤلفي الكتب التي أخرج منها الحديث المشار إليه .

وكان حقه أن يخرج الحديث بسنده من الكتاب الذي أخرجه منه ، ليسلم بذلك من الانتقاد ، كما سلم مؤلف الكتاب الذي أخرج منه المحب الطبري ، الحديث الذي خرجه ، أو يقول : أخرجه الطبراني مثلاً بسند ضعيف ، كما صنع غير واحد من المحدثين في بيان حكم سند الحديث ، الذي يريدون إخراجه ، أو ذكر بإسناد المؤلف الذي يخرجونه من كتابه[١٧١] ، وقد توفي رحمه الله سنة (٦٩٤هـ) بمكة ودفن بالمعلا[١٧٢] .

مؤلفاته :

١ – الرياض النضرة في فضائل العشرة[١٧٣] .

٢ – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى[١٧٤] .

٣ – السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين[١٧٥] .

٤ – تقريب المرام في غريب القاسم بن سلام مبوباً على الحروف .

٥ – الأحكام الصغرى ، ويتضمن ألف حديث وخمسة عشر حديثاً .

٦ – القرى من ساكن أم القرى يتضمن تجريد أحاديث المناسك من الكتب الستة وغيرها .

٧ – غاية بغية الناسك من أحكام المناسك .

٨ – صفة حجة النبي ﷺ على اختلاف طرقها[١٧٦] ، وغير ذلك من المؤلفات النافعة .

٤ – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد الطبري المكي الشافعي ، الملقب برضي الدين والمكنى بأبي أحمد وأبي إسحاق إمام الحرم الشريف ولد سنة (٦٣٦هـ) بمكة ونشأ بها سمع من عبد الرحمن بن أبي حرمى : صحيح البخاري ، خلا من قوله : س وإلى مدين أخاهم شعيبا ش إلى باب مبعث النبي ﷺ ، وسمع صحيح مسلم عن أبي اليمن بن عساكر[١٧٧] ، ومن شعيب بن يحيى الزعفراني : الأربعين الثقفية ، والبلدانية للسلفي ، وعلي أبي الحسن الجميزي ، اختلاف الحديث للشافعي ، والثقفيات ، والأول من جامع عبد الرزاق ، والثاني من حديث سعدان[١٧٨] .

والرابع من الأغراب للنسائي ، والسادس ، والسابع ، والثامن من المحامليات ، والسابع من حديث ابن السماك ، وجزء سفيان بن عيينة ، وجزء القزاز ، وجزء مطين ، وفوائد العراقيين للنقاش ، ومسلسلات ابن شاذات ،

وغرائب حديث مالك لدعلج ، وثمانين الآجرى ، وقرأ على الشيخ شرف الدين بن أبي الفضل المرسى : صحيح ابن حبان ، خلا الكلام ، وجزء بن نُجيد ، وعوالي الفراوي ، وعلي جابر بن سعد اليمني ، وسليمان بن خليل : مسند الشافعي ، وعلي سليمان سنن النسائي ، وعليه وعلى عمه يعقوب بن أبي بكر الطبري : جامع الترمذي ، وعلى عمه يعقوب : سنن أبي داود ، ومسند الدارمي ، وعوارف المعارف للسهروردي ، وعلي الحافظ ابن مسدي ، السيرة لابن إسحاق ، والزهد لابن المبارك والملخص للقابسي ، والنقصى لابن عبد البر، والأربعين المختارة لابن مسدي .

وغير ذلك كثير من الكتب والأجزاء(١٧٩) .

وذكر اليافعي أنه قرأ عليه علوماً كثيرة ، فقال ومن مقروء أتى عليه صحيح البخاري ، ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، والدارمي ، وابن حبان ، ومسند الإمام الشافعي ، والشمائل للترمذي ، وعوارف المعارف للسهروردي ، والسيرة لابن هشام ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، ومنسكه ، وخلاصة السيرة ، وصفة القراء ، والمجالس المكية ، والعوالي من مسموعات الفراوي ، والأربعين من سباعياته ، ومسلسل الديباجي ، وسداسيات شيخنا رضي الدين المذكور ، وإجازة المجهول والمعدوم للحافظ الخطيب ، وثمانون للآجرى ، والأربعون للملك المظفر صاحب اليمن ، والأربعون للنووي ، والأربعون الثقفيات ، وغير ذلك(١٨٠) .

وسمع منه جمع من العلماء : منهم النجم بن عبد الحميد ، ومات قبله بنحو ثلاثين سنة ، والعفيف بن عبد الله بن محمد النشاوي المكي، وعلم الدين البرزالي، وصلاح الدين العلائي(١٨١) ، وابن جابر الوادي آشي : قرأ عليه مختصر شرح السنة للبغوي له ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغير ذلك وأجازه إجازة عامة(١٨٢) .

قد أثنى على هذا الإمام غير واحد من أهل العلم ، فقد قال البرزالي فيه: كان شيخ مكة في وقته ، وكان يفتي على مذهب الشافعي ، وذكره الذهبي في معجمه ، وقال : عالم فقيه محدث ، عابد ورع كبير القدر ، ثم قال : ولى الإمامة ، وحدث أزيد من خمسين سنة ، وحدث عنه صلاح الدين العلائي يوماً، وفضله على شيوخه فقال : لي من الشيوخ قريب من ألف ما فيهم مثل رضي الدين ، ووصفه اليافعي بالمحدث الإمام العلامة الرواية صاحب الأسانيد العالية، بركة الوقت فريد العصر بقية المحدثين الصالحين تفرد في آخر عمره خصوصاً برواية صحيح البخاري ، واعترف له الجلة بالجلالة(١٨٣) .

وقال الحافظ بن حجر كان مفرداً في الدين والتأله والعبادة قل أن ترى العيون مثله ، مع التواضع والوقار والخير(١٨٤)، وترجمه ابن فهد فقال : ((شيخ الإسلام ومسند الحجاز ، وإمام الشافعية بالمسجد الحرام وكان صاحب إخلاص وتأله ، وذا عناية بالحديث والفقه ، اختصر شرح السنة للبغوي ، وخرج لنفسه تساعيات حدث بها وبغالب مسموعاته ، وتفرد بأشياء))(١٨٥) توفي رحمه الله سنة (٧٢٢ هـ) ودفن بالمعلا .

مؤلفاته :

١ – اختصر شرح السنة للبغوي .

٢ – مختصر علوم الحديث لابن الصلاح ، وسماه الملخص في معرفة علوم الحديث .

٣ – نظم قصيدة في مدح النبي ش سماها : ((العقد الثمين في مدح سيد المرسلين))(١٨٦) وله غير ذلك كما أن له الكثير من الأشعار وقد ذكر تقي الدين الفاسي بعضاً منها .

ومن مظاهر النهضة العلمية الحديثية وتنوعها كثرة السامعين لهذا الفن

من أفراد المجتمع من صغار وكبار ، ووجهاء وغيرهم حتى أصحاب الحرف كالبزازين والنجارين ، وبرز علماء أجلاء نقلوا معارفهم إلى غيرهم .

١ – فقد كان الحسن بن أحمد بن محمد السلمي المتوفى سنة (٨٢٧ هـ) بزازاً .

قال تقي الدين الفاسي أجاز له – باستدعاء أخيه شيخنا الفقيه نور الدين علي سلامة – جماعة من أصحاب الفخر بن البخاري وغيرهم – منهم : عمر ابن أمِيْلَة ، وصلاح الدين بن أبي عمر ، وحدث ، وهو أحد الشيوخ بمكة ، وكان يبيع البز(١٨٧) .

٢ – ومن علماء الحديث من أصحاب الحرف بمكة :

عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن سليمان القنوي المكي النجار (٨٥٩ هـ) سمع من العفيف النشاوي قطعة من أول السنن لأبي داود وأجازه التقي بن حاتم وعبد الواحد بن ذي النون الصردي ، وعبد العزيز بن محمد الطيبي ، وعز الدين المليجي ، والعراقي والهيثمي ، والكمال الدميري ، وغيرهم وكان نجاراً حسناً(١٨٨) .

٣ – ولم يقتصر النشاط العلمي على الأحرار ، بل إن بعض الموالي كان يحضر مجالس العلم ، فقد ذكر السخاوي أن علي بن أحمد بن فرح الطبري مولاهم المكي (٨٤٦ هـ) سمع على التقي بن فهد من آخر كتاب الشفاء سنة (٨٣٩ هـ) وجده فرح عتيق الخطيب محب الدين ، وكان نجاراً يعمل بداره الصناديق(١٨٩) .

وهناك مظاهر أخرى وهي الاعتناء بالأطفال ، وإحضارهم مجالس سماع الحديث . فقد ذكر السخاوي أن إبراهيم بن عبيد الله بن محمد الأيجي الأصل المكي الشافعي المولود سنة (٨٨٤ هـ) أنه حضر إليه مع أبيه سنة (٨٨٦ هـ) فحدثه مع غيره بالمسلسل ، وفي سنة (٨٩٣ هـ) أحضره

والده إلى السخاوي فقرأ عليه الأربعين النووية ثم ثلاثيات البخاري ، وغنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج ، والقول النافع في ختم الصحيح الجامع الثلاثة الأخيرة للسخاوي[١٩٠] .

٤ – ومن المشاهير الذين حدثوا بصحيح البخاري بمكة : عبد الله بن محمد ابن محمد بن سليمان بن عفيف الدين ، أبو محمد المكي ، المعروف بالنشاوي (٧٩٠ هـ) سمع من الرضى الطبري : الكتب الستة خلا سنن ابن ماجه ، والثقفيان ، والأربعين الثقفية ، والأربعين البلدانية للسلفي ، وجزء ابن نُجَيْدْ ، حدث بمكة كثيراً وبالقاهرة أيضاً .

قال التقي الفاسي : سمع منه جماعة من أعيان شيوخنا ، وسمعت منه شيئاً من سنن النسائي عن رضي الدين الطبري ، في سنة (٧٨٩ هـ) بعد أن حصل له تغير وأجاز لي مروياته غير مرة ، وكان حسن الطريقة بآخرة ، وكان خاتمة أصحاب الرضى الطبري[١٩١] .

وسمع عليه الحافظ بن حجر صحيح البخاري بمكة سنة (٧٨٥هـ)، وقال تفرد عن الرضي بسماع الثقفيات وغيرها ، وقد حضر إلى القاهرة في أواخر عمره وحدث ، ثم رجع إلى مكة وتغير قليلاً[١٩٢] ، وحدث بمكة نزيلها إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحيم الأمْيُوطي الشافعي سنة (٧٩٠ هـ) بعدة كتب ، وذلك حين ولي بمكة تدريس الحديث للأشرف صاحب مصر ، ودرس كثيراً احتساباً ، وانتفع به الناس في ذلك بالحرمين ، وأفتى وحدث فيهما بالكثير من مروياته ، وسمع منه الحافظ أبو الفضل العراقي ، وابنه أبو زرعة وخرج له مشيخة ، وأبو الحسن الهيثمي ، والقاضي جمال الدين بن ظهيرة ، والتقي الفاسي من آخر سنن النسائي رواية ابن السني ، ووالد التقي الفاسي وغيرهم[١٩٣] ، وكان نزيل مكة المكرمة .

٥ – محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام بن علي بن عبد

الكافي البكري المصري ، المحدث المقري الفقيه ، شمس الدين المعروف بابن سُكّر الحنفي (٨٠١ هـ) أثر واضح في تطور علم الحديث بمكة فقد أخذ عنه الكثير من أبنائها ، والوافدين عليها منهم : التقي الفاسي رحمه الله فقد ترجمه ترجمة واسعة ، وذكر أنه قدم مكة سنة (٧٤٩ هـ) حاجاً ، ثم بدا له استيطانها ، فاستوطنها حتى مات ، إلا أنه خرج منها في بعض السنين إلى اليمن وإلى المدينة وإلى بجيلة[١٩٤] .

وأخذ عليه أيضاً عبد السلام بن موسى بن أبي بكر بن أكبر الشيرازي العجمي المكي الشهير بالزمزمي (٨٤٦ هـ) المجلس الأخير من عمدة الأحكام للمقدسي[١٩٥] .

وقرأ عليه من الوافدين على مكة المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر ابن محمد بن إبراهيم المقريزي فقد ذكر ابن فهد في ترجمته أنه قرأ عليه (مسند أبي حنيفة) لابن خسرو وغير ذلك[١٩٦] .

وكان ابن سُكّر قد جلس للإقراء بالمسجد الحرام عند اسطوانة بمحاذات باب أجياد ، وأخذ خطوطاً من معاصريه من أمراء مكة وقضاها ، بالجلوس عندها ، وكان أيام طلبه للحديث قد جد في التحصيل فسمع من طبقة شيوخه ومن طبقته ومن أصاغر طلابه وجمع كثيراً بحيث كان لا يذكر له جزء حديثي إلا ويخرج سنده من ثبته عالياً أو نازلاً ، وكتب بخطه ما لا يحصى من كتب الحديث والفقه والأصول والنحو وغيرها ، قال الحافظ ابن حجر سمعت منه بمكة ، وكان ضابطاً للوفيات محباً للمذاكرة[١٩٧] .

٦ – وفي سنة (٨١٤ – ٨١٥ هـ) استقر بمكة أبو بكر بن حسين ابن عمر بن محمد بن يونس العثماني المراغي ثم المصري الشافعي ، نزيل المدينة ، حدث بمكة ، وبمنى والجعرانة بالكثير من مروياته . قال السخاوي سمع منه أولاده وسبطه المحب الطبري وشيخنا (يعني ابن حجر) والفاسي ومن لا

أحصيهم كثرة[١٩٨] وخرج له ابن حجر أربعين حديثاً ، وسمع عليه جمع من العلماء بمكة خلال وجوده بها .

ومن الآخرين عن الزين المراغي :

١ – محمد بن عمر بن مسعود بن إبراهيم الجمال أبو أحمد بن الوالي السراج أبي حفص اليماني الأصل المكي (٨٥٦ هـ) سمع بمكة من الزين المراغي الصحيحين وسنن أبي داود ، وقطعة من صحيح ابن حبان[١٩٩] .

٢ – محمد بن ريحان الجدي (٨٧١ هـ) سمع عليه الختم من الصحيحين ، وسنن أبي داود[٢٠٠] .

٣ – إبراهيم بن علي بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبد الله البيضاوي المكي الشافعي الشهير بالزمزمي (٨٦٤ هـ) سمع عليه بها ((صحيح مسلم)) ، وسمع بها من البرهان بن صديق صحيح البخاري ومسند الدارمي ، ومن أبي الطيب السحولي الشفاء[٢٠١] .

٤ – محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد العزيز القرشي الهاشمي العقيلي النويري المكي المالكي (٨٧٠ هـ) سمع منه بعض صحيح البخاري وغالب صحيح مسلم وبعض سنن أبي داود وبعض مسند الحميدي[٢٠٢] .

هؤلاء بعض الآخذين عن الزين المراغي ويوجد غيرهم كثير ممن حدثهم وأجازهم ، وقد مات رحمه الله سنة (٨١٦ هـ) بعد حياة حافلة بالعطاء[٢٠٣].

وبعد هذه الصورة المشرقة من الحياة العلمية بمكة المكرمة نعرج في الصورة اللاحقة على ما قامت به المدارس المكية من نشاط تربوي في نشر العلم بها مما كان له الأثر الحسن في المجتمع المكي فنقول :

الصورة المصغرة الرابعة من حياة المحدثين بمكة:

وهذه الصورة تعالج دور المدارس التعليمية بمكة المكرمة ، والتي كان لها دور بارز في النهضة العلمية وتطورها ، وقد ظهر بمكة جملة من المدارس التعليمية وسنميط اللثام في هذه الصورة المصغرة عما قامت به هذه المدارس من جهود .

لقد قامت المدارس في المجتمعات الإسلامية ، لتسهم مع المسجد والكتاب في تربية أبناء المجتمع الإسلامي ، وكان يقوم بهذا الجهد بعض أخيار الأمة فشيدوا المدارس في مناطق متعددة من عواصم العالم الإسلامي ، وقد نالت مكة المكرمة جزءاً من هذا الاهتمام . فقد أنشئ حول الحرم المكي الكثير من المدارس الخيرية ، ولم تظهر هذه المدارس إلا في القرن السادس عندما أخذ بعض الأمراء ، وبعض التجار الموسرين يقررون دروساً بالمسجد الحرام ويدفعون أجوراً لمن يقوم بالتدريس .

١) فأنشئت أول مدرسة بمكة وهي : مدرسة الزنجيلي(٢٠٤) سنة (٥٧٩ هـ) وهذه المدرسة تنسب إلى عثمان بن علي ، الأمير فخر الدين المعروف بالزنجيلي(٢٠٥) نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي على عدن ، وقد أنشأ هذه المدرسة بمكة ووقفها على الحنفية يتضح ذلك من خلال من تولى التدريس بها ومكان هذه المدرسة عند باب العمرة ، وبنى بمكة أيضاً رباطاً وسبيلاً ، وأوقف للمدرسة والرباط أوقافاً كثيرة ، وتعرف هذه المدرسة أيضاً بدار السلسلة وذكر التقى القاسي أنها أصبحت بيد بعض أشراف مكة(٢٠٦) .

١ – وممن درس بهذه المدرسة صديق بن يوسف بن قريش أبو الوفاء الحنفي(٢٠٧) ولد سنة (٥٣٧هـ) .

٢ – أحمد بن علي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح السجزي

الحنفي المكي ، إمام مقام الحنفية بالحرم الشريف مات سنة (٧٦٣هـ) [٢٠٨] .

٢ – مدرسة طاب الزمان الحبشية :

هذه المدرسة أوقفتها طاب الزمان سنة (٥٨٠هـ) على عشرة من فقهاء الشافعية .

قال التقى الفاسي : في ترجمة هذه المرأة لها مآثر بمكة . منها : دار زبيدة ، وقفتها على عشرة من فقهاء الشافعية ، في شعبان سنة (٥٨٠هـ) ولم أدر متى ماتت[٢٠٩] .

٣ – مدرسة الأرسوفي[٢١٠] نسبة إلى عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بالعفيف ، ويعرف بالأرسوفي صاحب المدرسة التي تقرب من باب العمرة الذي يقربها ، المعروف برباط أبي رُقية ولعل بناء المدرسة متوافق مع تاريخ بناء الرباط الذي حدده الفاسي ب (٥٩١هـ) [٢١١] .

فقد قال التقى الفاسي عن هذه المدرسة ما عرفت متى وُقفت إلا أن لها أزيد من مائتي سنة ، ولعله وقفها في تاريخ وقف رباطه الذي يقربها المعروف برباط أبي رقية لسكناه به[٢١٢] .

٤ – مدرسة ابن الحداد المهدوي :

أنشأها عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدوي أبو منصور المعروف بابن الحداد سنة (٦٣٨هـ) بأسفل مكة ، وأوقفوها على طلبه العلم من المالكية المشتغلين بمذهب مالك ابن أنس ، وظلت هذه المدرسة مناراً للعلم إلى أن استولى عليها الأشراف الأدارسة وأصبحت تعرف باسمهم[٢١٣] .

٥ – المدرسة المنصورية[٢١٤] :

هذه المدرسة ذكرها ابن فهد في حوادث سنة (٦٤١هـ) ، وقال : وفيها (أي في السنة المذكورة) عمر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول

صاحب اليمن مدرسة بالجانب الغربي من المسجد الحرام وأوقفها على فقهاء الشافعية ، وغبطه ملوك الأرض على هذه المدرسة ، وكانت هذه العمارة على يد الأمير فخر الدين الشلاح[٢١٥] .

وقد برزت هذه المدرسة بنشاطها الحديثي فقد حدث بها جمع من علماء الحديث منهم : جعفر ابن عبد الرحمن بن جعفر السلمي الصقلي البجائي[٢١٦] (٦٤٤هـ) نزيل مكة المكرمة ، سمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي[٢١٧] ، ومحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد التوزوري القسطلاني المكي المالكي إمام المالكية بالحرم الشريف (٦٦٣هـ) كان إمام الحديث بالمدرسة النورية والنورية هي المنصورية[٢١٨] .

والإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري الشافعي (٦٩٤هـ) الذي كانت له حظوة عند الملك المظفر ، وكان يحسن إليه كثيراً ورتب له في كل شهر خمسين ديناراً ، على تدريس مدرسة والده بمكة المعروفة بالمنصورية[٢١٩] .

وبعد وفاة المحب تولى التدريس مكانه ولده جمال الدين (٦٩٤هـ)[٢٢٠] .

والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القسطلاني القيسي ، أمين الدين أبو المعالي بن الشيخ قطب الدين بن الشيخ أبي العباس القسطلاني المكي الشافعي (٧٠٤هـ) كان شيخ الحديث بالحرم بمكة والمدرسة المظفرية[٢٢١] .

وتولى التدريس للحديث بها – أيضاً – الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف بالشهيد الناطق العقيلي النويري (٧٣٧هـ)[٢٢٢] .

٦ – المدرسة الشرابية :

بناها الأمير إقبال بن عبد الله المعروف بالشرابي المستنصر العباسي ، قال التقي الفاسي ، له بمكة مآثر ، منها الرباط المعروف برباط الشرابي عند باب بني شيبة عمر سنة (٦٤١هـ) ووقف عليه أوقافاً تعرف بالشرابيات بوادي مر[٢٢٣] ووادي نخلة ، ووقف عليه كتبا في فنون العلم نفيسة[٢٢٤] .

ولعل الأمير الشرابي بنى بمكة رباطاً وتحول الرباط بعد ذلك إلى مدرسة لأن التقى الفاسي لم يذكرها ضمن المدارس المكية والله أعلم .

٧ – المدرسة المجاهدية[٢٢٥] :

وهي إلى جانب كونها معهد من معاهد العلم الشرعي بمكة المكرمة كان فيها سكن يأوى إليه بعض العلماء والوافدين .

وهذه المدرسة عمرها الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف صاحب اليمن[٢٢٦] سنة (٧٣٩هـ) في الجانب اليماني من المسجد الحرام ، وأوقفها في ذي الحجة من السنة نفسها على الشافعية وأوقف عليها وقفاً جيداً من أملاكه في سنة (٧٤٠هـ)[٢٢٧] .

٨ – المدرسة الأفضلية[٢٢٨] :

نسبة إلى الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد علي بن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر داود بن الملك المنصور يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن (٨٠٣هـ)[٢٢٩] بنى جوهر بن عبد الله المعروف بالرصواني ، نزيل مكة[٢٣٠] . (٧٥٥هـ) داراً بمكة ، وسمع بها الحديث .

وكان الملك المجاهد يعول عليه في أكثر حوائجه ، ولم يذكر الفاسي تاريخ بناء هذه الدار ، إلا أنه قال : كان (أي جوهر بمكة في عشر الخمسين وسبعمائة ، ولعلها بنيت أول العقد الخامس لأنه ورد في ترجمة ابن المكرم

المصري[٢٣١] نزيل مكة والمتوفي بها في شعبان سنة (**٧٥٢هـ**) أن داره ملاحقة للمسجد الحرام ، وهي التي صارت للأفضل وعملها مدرسة ، ولعل الأفضل جعل الدارين مدرسة واحدة ، وابتدأ التدريس بها عام (**٧٧٠هـ**) ، وأوقفها على الفقهاء الشافعية[٢٣٢] :

٩ – مدرسة النهاوندي :

ذكرها الفاسي فقال : مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له الدريبة[٢٣٣] ولها نحو مائتي سنة فيما أحسب والله أعلم[٢٣٤] .

١٠ – مدرسة أبي علي بن أبي زكريا :

ذكرها الفاسي فقال : هي قرب المدرسة المجاهدية ، وتعرف بأبي طاهر المؤذن ، وتاريخ وقفها سنة (**٦٣٥هـ**) وتُرجم واقفها بالإمام الشهيد وما عرفت حاله[٢٣٥] .

١١ – المدرسة الأرغونية[٢٣٦] :

قال التقي الفاسي : ((ومنها ((أي من المدارس)) بالجانب الشامي منه ((أي من المسجد الحرام)) مدرسة بدار العجلة ، وهي التي على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة[٢٣٧] ، ولم أدر من وقفها ولا متى وقفت ؟ ثم عمل فيها الأمير أرغون النائب درسا للحنفية قيل العشرين وسبعمائة أو بعدها بيسير ، في أوائل عشر الثلاثين[٢٣٨] .

وهذه النسبة إلى أرغون بن عبد الله الناصري (**٧٣١هـ**) ، كان أميراً شجاعاً كريماً فصحياً ، محباً لأهل العلم ، محسناً إليهم ، وقد أوقف على هذه المدرسة وقفاً ، وجعل مدرسها يوسف بن الحسن الحنفي[٢٣٩])) .

١٢ – مدرسة الأمير عجلان بن رُميثة (٧٧٧هـ) :

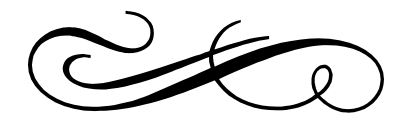
ذكر الفاسي أنه أنشأها بالجانب اليماني من المسجد الحرام مطلة عليه ، مقابلة لمدرسة الملك المجاهد[٢٤٠] .

١٣ – مدرسة الخلجية :

أنشأها محمود بن مغيث الخلجي صاحب مندورة من الهند ، عند باب أم هاني بل تعرف بدارها وقرر في مشيخة التدريس والحديث بها إمام الحنفية الشمس البخاري ومات سنة بضع وسبعين فاستقر بعده في السلطنة ابنه غياث الدين(٢٤١) .

هذه أهم المدارس التي ذكرها العلماء والتي أسهمت بدور فعال في دفع الحركة العلمية إلى الأمام هذا إضافة إلى جهود علماء مكة ومحدثيها في توجيه المجتمع المكي إلى العلم بصفة عامة وإلى علم الحديث بصفة خاصة .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ .



الهوامش والتعليقات

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٧٠ – ٧١ .

(٣) هي سوق مكة القديم ، كان بفناء دار أم هانئ بنت أبي طالب التي عند الخياطين قد دخلت في المسجد الحرام هذا هو الصحيح ، وقيل غير ذلك ، وعند الأزرقي : ((عند الحناطين)) انظر : أخبار مكة للأزرقي : ٢ / ٢٩٤ ، وأخبار مكة للفاكهي : ٤ / ٢٠٦ – ٢٠٧ .

والحزورة بحاء مهملة مفتوحة وزاي معجمة على وزن ((قسورة)) وهي في أسفل السوق المذكورة عند منارة المسجد الحرام التي تلي أجياد ، هكذا قال تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام : ١ / ١٢٢ ، وفند غيره من الأقوال .

(٤) رواه الترمذي في الجامع : ٥ / ٧٢٢ باب فضل مكة ، وابن ماجه في السنن : ٢ / ١٠٣٧ ، مناسك وأحمد في المسند : ٤ / ٣٠٥ ، والدرامي في سننه : ٢ / ١٥٦ ؛ وعبد ابن حميد المنتخب : ١٧٧ – ١٧٨ رقم (٤٩١) والمعرفة والتاريخ للفسوي : ١ / ٢٤٤ – ٢٤٥ ، وأخبار مكة للفاكهي : ٤ / ٢٠٦ – ٢٠٧ ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني : ٤٤٧/١ – ٤٤٨ ، والنسائي في سننه الكبرى : ٢ / ٤٧٩ – ٤٨٠ .

وابن حبان في صحيحه : ٩ / ٢٢ رقم (٣٧٠٨) ، والطبراني في مسند الشاميين : رقم (٣٠٣٤) والحاكم في المستدرك : ٣ / ٧ ، ٤٣١ وسكت عليه في الموضع الثاني وتابعه الذهبي ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة : ٢ / ق ٢٥ ب ، وابن حزم في المحلى : ٧ / ٤٥٨ ، والبيهقي في دلائل النبوية: ٢ / ٥١٧ ، ٥١٨ و ٥ / ١٠٦ – ١٠٧ ، وابن عبد البر في التمهيد : ٢ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ وصححه ، والحديث قال فيه الترمذي حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ ناصر في صحيح الجامع : (رقم ٦٩٦٦) وفي المشكاه (رقم (٢٧٢٥) ، وعبد القادر الأرنؤوطي في تحقيقه لجامع الأصول : ٩ / ٢٩٢ .

(٥) فقد كان خلق كثير يحجون ويؤمون سفيان بن عيينة فيزدحمون عليه في أيام الحج للأخذ عنه .

(٦) السيرة في ضوء الكتاب والسنة : ١ / ٢٨٩ ، د/ محمد محمد أبو شهبة ، محمد رسول الله للدكتور صادق عرجون : ١ / ٩٥٦ .

(٧) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي الحافظ كان من أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ وغير ذلك مات سنة (٣٥٤هـ) ، العبر : ٢ / ٩٤ ، والسير: ١٦ / ١٩٩، وتاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ .

(٨) مشاهير علماء الأمصار : ٣٠ – ٣٦ .

(٩) الإصابة : ٤ / ٩٣ .

(١٠) مشاهير علماء الأمصار : ٨٢ ، وانظر : طبقات ابن سعد : ٤ / ١٤٢ ، وتهذيب الكمال : ١٩ / ٢٢٥ ، وتذكرة الحفاظ : ٥٠ .

(١١) وهذا النقل لم أجده في طبقات بن سعد المطبوع : ٥ / ٤٦٦ .

(١٢) سير أعلام النبلاء : ٤ / ٤٤٩ ، تهذيب الكمال : ٢٧ / ٢٢٨ ، حلية الأولياء: ٣ / ٢٧٩ ، تهذيب التهذيب : ١٠ / ٤٢ – ٤٤ ، العقد الثمين : ٧ / ، الترجمة ٢٤٠٠ ، تذكرة الحفاظ : ٩٢ .

(١٣) العقد الثمين : ٦ / ٨٤ .

(١٤) طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٦٨ .

(١٥) تذكرة الحفاظ : ٩٨ .

(١٦) تذكرة الحفاظ : ١ / ١٠١ ، طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٧٣ ، تهذيب الكمال : ١٥ / ٢٥٦ ، تهذيب التهذيب : ٥ / ٣٠٦ ، العقد الثمين : ٥ / ٢٠٤ ، طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي : ٦٩ .

(١٧) تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ١٦٩ ، سير أعلام النبلاء : ٦ / ٣٢٥ ، تهذيب الكمال : ١٨ / ٣٣٨ ، تهذيب التهذيب : ٦ / ٤٠٢ ، العقد الثمين : ٥ / ٥٠٨ ، طبقات المفسرين : ١ / ٣٥٢ ، طبقات المدلسين : ٩٥ ، تقريب التهذيب : ٦٢٤ تحقيق أبو الأشبال ، طبقات ابن سعد ، ٥ / ٤٩١ .

(١٨) فخ : واد بمكة ، وقيل : الفخ : وادي الزاهر السير : ٧ / ٤٣٤ هامش .

(١٩) السير : ٧ / ٤٣٣ ، تهذيب الكمال : ٢٩ / ٢٨٧ ، تهذيب التهذيب : ١٠ / ٤٠٩ ، طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٩٤ ، العقد الثمين : ٧ / ٣٢٦ ، التقريب : ٩٩٥ .

(٢٠) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٤٥ ، طبقات ابن سعد : ٥ / ٥٠٠ ، طبقات خليفة بن خياط : ٤٥٨ .

(٢١) السابق واللاحق : ٢٩٢ .

(٢٢) سير أعلام النبلاء : ٨ / ٣٢١ ، تهذيب الكمال : ٢٣ / ٢٨١ ، حلية الأولياء : ٨ / ٨٤، تهذيب التهذيب : ٨ / ٢٩٤ ، ميزان الإعتدال : ٣ / الترجمة (٦٧٦٨) الجمع لابن القيسراني : ٢ / ٢١٤

(٢٣) سير أعلام النبلاء : ٨ / ٤٥٤ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٦٢ ، العقد الثمين : ٤ / ٥٩١ ، تهذيب الكمال: ١١ / ١٧٧ ، قال ابن حبان في صحيحه : ١٢٢ وأما المدلسون الذين هم ثقات وعدول فإنا لا نحتج بأخبارهم إلا ما بينوا فيه السماع فيما رووا مثل الثوري ، والأعمش ، وأبي إسحاق وأضرابهم من الأئمة المتقين ، وأهل الورع والدين ، لأنا متى قبلنا خبر مدلس لم يبين السماع فيه وكان ثقة ، لزمنا

قبول المقاطيع والمراسيل كلها لأنه لا يدري لعل هذا المدلس دلس هذا الخبر عن ضعيف يهي الخبر بذكره إذا عرف .

اللهم إلا أن يكون المدلس يعلم أنه ما دلس قط إلا عن ثقة فإذا كان كذلك قبلت روايته روايه ، وإن لم يبين السماع ، وهذا ليس في الدنيا إلا سفيان بن عيينة وحده فإنه كان يدلس ، ولا يدلس إلا عن ثقة متقن ، ولا يكاد يوجد لسفيان بن عيينة خبر دلس فيه إلا وجد ذلك الخبر بعينه قد بين سماعه عن ثقة ، مثل نفسه ، السير : ٨ / ٤٦٥ هامش ، وعده ابن حجر في الطبقة الثانية : وهو من احتمل الأئمة تدليسه وخرجوا له في الصحيح : تعريف أهل التدليس : ٢٣ .

(٢٤) السير : ٨ / ٤٧٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد : ٥ / ٤٩٧ – ٤٩٨ .

(٢٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١ / ٢١٠ .

(٢٦) رواه الترمذي في الإستيذان باب من اطلع في دار قوم بغير إذنهم من حديث سفيان عن الزهري عن سهل بن سعد ، رقم (٢٧٠٩) وقال حسن صحيح ، ورواه مسلم من حديث الليث عن ابن شهاب أن سهل بن سعد أخبره ، حديث رقم (٤٠ / ٢١٥٦) وعطف عليه إسناد حديث سفيان ولم يسق لفظه وقال نحو حديث الليث ، وساقه البخاري من حديث الليث عن ابن شهاب ، رقم (٦٩٠١) .

(٢٧) رواه أحمد في المسند : (٣٥٦٨) و (٤٠١٢) و (٤٠١٦) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر . ورواه ابن ماجه (٤٢٥٢) في الزهد باب ذكر التوبة ، والحاكم في المستدرك : ٤ / ٢٤٣ وصححه ووافقه الذهبي ، والبغوي في شرح السنة : ٥ / ٩١ وقوي إسناده محققه .

(٢٨) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور حديث ((٦٦٢٢)) ومسلم في كتاب الإيمان حديث ((١٦٥٢)) .

(٢٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ٢ / ٤٩ .

(٣٠) تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٦١ ، العقد الثمين : ١ / ٤١٨ ، تهذيب الكمال : ٢٤ / ٣٥٥ ، تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٥ .

(٣١) سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٩٤ .

(٣٢) سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٩٥ .

(٣٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان : باب رفع الصوت بالنداء : ٢ / ٨٧ حديث (٦٠٩) والبيهقي في السنن : ١ / ٣٩٧ .

(٣٤) قال ابن المديني : وهم سفيان بن عيينة في نسبه حيث قال : عبد الله بن عبد الرحمن ، ووردت رواية سفيان هذه في السنن : ٣ / ٦ وعقب عليها عبد الله بن أحمد ، قال : قال أبي وسفيان مخطئ في إسمه ، والصواب : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، وقال الحافظ قبله ابن عيينة فقال: عبد الرحمن بن عبد الله والصحيح قول مالك ووافقه عبد العزيز الماجشون ؛ الفتح : ٢ / ٨٨

(٣٥) مناقب الشافعي : ٤٨٩ ، وتهذيب التهذيب : ٦ / ٢٠٩ .

(٣٦) مناقب الشافعي : ٤٩٠ .

(٣٧) تهذيب الكمال : ١٤ / ١١٩ ، تهذيب التهذيب : ٥ / ٩٣ .

(٣٨) التقريب : ٧٢٤ ، تهذيب التهذيب : ٧ / ٤٨١ ، وفيه عن النسائي لا نعلم أحداً تابع مالكاً على قوله عمر ، وقال غيره كان مالك يناظر عليه ويقول هذه دار عمرو بن عثمان وهذه دار عمر .

(٣٩) مناقب الشافعي : ٤٩٠ .

(٤٠) التقريب : ٦٢٦ ، التهذيب : ٦ / ٤١٥ ، وقال الحافظ : روى عنه مالك ولم يحفظ اسمه ولا اسم أبيه .

(٤١) مناقب الشافعي : ٤٩٠ .

(٤٢) مناقب الشافعي : ٤٩٢ ، الجرح والتعديل : ٥ / ٣٦٣ .

(٤٣) الإصابة : ١ / ٢٢٤ ، الجرح والتعديل : ٢ / ٤٩٣ ، تهذيب التهذيب : ٢ / ٤٣ ، تذهيب الكمال: ٢ / ٤٥٦ .

(٤٤) مالك في الموطأ : ١ / ٢٣٣ ، وأبو داود في كتاب الجنائز : حديث (٣١١١) ، والنسائي : ٤ / ١٣ ، وأحمد في المسند : ٥ / ٤٤٦ ، وابن حبان : (٣١٨٩ و ٣١٩٠) ، وابن ماجه : حديث (٢٨٠٣) وعلق على الحديث د/ بشار عواد بقوله : هذا إسناد فيه اضطراب ومقال، فإن هذه الرواية غير محفوظة .

(٤٥) مناقب الشافعي : ٤٩١ .

(٤٦) تهذيب الكمال : ٢٨ / ١٧٠ ، التهذيب : ١٠ / ٢٠٥ .

(٤٧) الإصابة : ٦ / ١١١ .

(٤٨) أسد الغابة : ٤ / ١٥٣ ، وانظر : تجريد أسماء الصحابة : ٢ / ٨٢ .

(٤٩) مناقب الشافعي : ٤٩١ .

(٥٠) مناقب الشافعي : ٥٠٠ – ٥٢١ .

(٥١) المصدر السابق : ٥٢٢ – ٥٢٣ .

(٥٢) المصدر السابق : ٥٢٨ .

(٥٣) مناقب الشافعي : ٥٤٢ .

(٥٤) كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي : ١ / ١٩٤ .

(٥٥) قال ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي وآدابه : ص ٢٢٢ يعني يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الضحك في الصلاة : أن على الضاحك الوضوء ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١ : ١٤٦ ، بسنده إلى أبي العالية أن رجلاً أعمى جاء والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فتردى في بئر فضحك طوائفُ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة . ثم قال : هذا حديث مرسل ومراسيل أبي العالية ليست بشيء كان لا يبالي عمن أخذ حديثه ، وقال ابن عدي : ولأبي العالية الرياحي أحاديث صالحة .. وأكثر ما نقم عليه هذا الحديث حديث الضحك في الصلاة ، وكل من رواه غيره فإنما مدارهم ورجوعهم إلى أبي العالية ، والحديث له وبه يعرف ، ومن أجل هذا الحديث تكلموا في أبي العالية وسائر أحاديثه مستقيمة صالحة . الكامل لابن عدي : ١٠٢٢ – ١٠٣٠ .
وقال عنه الحافظ : ثقة كثير الإرسال . التقريب : ٣٢٨ .
والحديث ضعيف فقد روى ابن عدي عن أحمد بن حنبل قوله : ليس في الضحك حديث صحيح وحديث الأعمى الذي وقع في البئر مداره على أبي العالية ، وقد اضطرُبَ عليه فيه .
قال الشيخ ناصر وللحديث طرق كثيرة وكلها معلولة ليس فيها ما يحتج به . الإرواء : ٢ / ١١٧ .

(٥٦) التقريب : ٩٢٠ ، ومناقب الشافعي : ٥٤٣ .

(٥٧) انظر : المجروحين : ٣ / ١٠ .

(٥٨) مناقب الشافعي : ٥٤٣ .

(٥٩) ترجمة ابن حبان في المجروحين : ٢ / ٢٢٣ ، بإسم كثير بن سليم ثم قال : هو الذي يقال له ، كثير بن عبد الله كان يروى عن أنس بن مالك من حديثه – من غير رواتيه – ويضع عليه ، ثم يحدث به ، لا يحل كتب حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاختبار .
وانظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي : ٢ / ٢٣ ، الميزان : ٣ / ٤٥٥ ، تهذيب التهذيب : ٨ / ٤١٦ .

(٦٠) مناقب الشافعي : ٥٤٨ ، تاريخ بغداد : ٣ / ١٤ .

(٦١) مناقب الشافعي : ٥٤٩ ، قال ابن حبان تركه ابن المبارك ، ويحيى القطان ، ويحيى ابن معين ، وأحمد ابن حنبل ثم حكى قول ابن معين في الحجاج بن أرطاه أنه ضعيف ضعيف وساق عنه خبر صلاة الجماعة وغيره . انظر : المجروحين : ١ / ٢٢٥ ، طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٥٩، والجرح والتعديل : ١ / ٢ / ١٥٤ ، وتاريخ بغداد : ٨ / ٢٣٠ ، والميزان : ١ / ٤٥٨ .

(٦٢) تذكرة الحفاظ : ١ / ٤١٣ ، العقد الثمين : ٥ / ١٦٠ .

(٦٣) سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٦١٧ .

(٦٤) المصدر السابق : ١٠ / ٥٩ .

(٦٥) المصدر السابق : ١٠ / ٦١٨ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٢ / ١٤٠ .

(٦٦) سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٦٦٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى : ٢ / ١٤٠ .

(٦٧) المصادر السابقة :

(٦٨) انظر : السير : ١٠ / ٦٦٧ ، طبقات الشافعية : ٢ / ١٤٠ ، وتهذيب الكمال : ١٤ / ٥١٣ .

(٦٩) الجرح والتعديل : ٥ / ٥٧ .

(٧٠) العبر : ١/ ٢٩٧ ، في تذكرة الحفاظ : ١ / ٤١٤ ، وقال ((وكان من أكابر أئمة الدين)) .

(٧١) الكامل لاين عدي : ١ / ١٢٤ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٣٩ .

(٧٢) تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٨ .

(٧٣) تهذيب التهذيب : ٣ / ٢٥٩ .

(٧٤) تهذيب التهذيب : ٩ / ٤٧٤ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ٣٥٤ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٣٩.

(٧٥) السنن الكبرى : ١ / ٢٧٣ ، وتهذيب التهذيب : ٦ / ١٥ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٣٩ ، وعلي هو ابن المديني .

(٧٦) الضعفاء للعقيلي : ٣ / ٢٧٤ .

(٧٧) المعرفة والتاريخ : ٢ / ٤٢٨ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٠ .

(٧٨) سير أعلام النبلاء : ٨ / ٣٦٨ .

(٧٩) مثل [يزيد بن عياض بن جعدية] قال البخاري : هو أخو أنس بن عياض ، ومثل عباس ابن مرداس الشاعر الصحابي – في الضعفاء للعقيلي : ٣ / ٣٨٧ و ٤١٤ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٠ .

(٨٠) مثل التعريف بولاء الإمام مجاهد ، المعرفة والتاريخ : ١ / ٧١٢ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٥٤٣ .

(٨١) مثل أبي الأسود النهدي . عمرو بن عمران ، كما في المعرفة والتاريخ : ٣ / ٢٠٣ ، والإتحاف : ١ / ٤٠ .

(٨٢) تهذيب التهذيب : ١ / ٤٥٠ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤١ .

(٨٣) الضعفاء للعقيلي : ٣ / ٨ ، ٩٦ .

(٨٤) تهذيب التهذيب : ١ / ٤٥٠ .

(٨٥) انظر : كلامه على محمد بن سليمان بن مسمول المخزومي : قال ابن حبان : كان كثير الخطأ فاحش الوهم لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد ، وكان الحميدي شديد الحمل عليه . انظر المجروحين : ٢ / ٢٦٠ ، الكامل لابن عدي : ٦ / ٢٢١٣ ، الضعفاء للعقيلي : ٣ / ٤٢٣ ، ميزان الإعتدال : ٣ / ٥٦٩ .

(٨٦) وإتحاف الخيرة : ١ / ٤١ – ٤٢ . مقدمة د/ إبراهيم محمد نور سيف .

(٨٧) الشهادة على الشهادة مثل قولنا : ((يشهد زيد بأن عمر شهد على صالح بأدائه الدين)) عند غياب الشاهد الأصلي مثلاً ، وفي رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ، ص ٤٢٥ ما يفهم منه أن الأصل في العمل بالشهادة على الشهادة محل اتفاق ، وإن كان في موضوع تطبيقها اختلاف . إتحاف الخيرة : ١ / ٤٣

(٨٨) هذه النقاط الأربع الأخيرة نقلها د. إبراهيم محمد نور سيف حفظه الله في دراسته عن الحميدي في مقدمة إتحاف الخيرة : ١ / ٤٢ – ٤٣ ، وعزاها للخطيب البغدادي في الكفاية : ٦٣ ، وما استفاده من الكفاية : (٥٣٢) ، وهذه الدراسة اعتمدناها في كل ما كتبنا عن الحميدي .

(٨٩) إتحاف الخيرة : ١ / ٤٤ ، وأحال على الكفاية : (١٩١) ، والتقييد والإيضاح : ص ١٢٨ .

(٩٠) الجرح والتعديل : ٢ / ٣٢ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٤ .

(٩١) الجرح والتعديل : ٢ / ٢٧ ، وإتحاف الخيرة : ٤٤ .

(٩٢) الكفاية : ١٧٦ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٥ .

(٩٣) الكفاية : ص ١٧٦ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٥ ، وهاتان النقطتان من نص رواه عنه ابن أبي حاتم في ((الجرح والتعديل)) ٢ / ٣٣ – ٣٤ ويفهم من أولهما أن من بُين له الخطأ فلم يرجع فلا يقبل حديثه وتسقط روايته ، وصرح بعزو ذلك إلى الحميدي الحافظ ابن الصلاح في مقدمته مع التقييد والإيضاح : ١٣٢ .

(٩٤) المناولة : أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه – أو فرعا مقابلاً به – ويقول للطالب : هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه عني أو أجزت لك روايته عني . التقييد والإيضاح (١٦٠) .

(٩٥) السرية : القطعة من الجيش . انظر الفتح : ١ / ١٥٥ .

(٩٦) الفتح : ١ / ١٥٥ .

(٩٧) التقييد والإيضاح : ص ٥٧ .

(٩٨) المعرفة والتاريخ : ٢ / ١٧٦ ، وإتحاف الخيرة : ١ / ٤٦ . تحقيق د/ إبراهيم محمد نور سيف .

(٩٩) كتاب السنن طبع الموجود منه بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ . وهو ناقص من الأول ويبدأ الموجود منه بباب الحث على الفرائض وينتهي بآخر كتاب الفرائض .

(١٠٠) تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤١٦ ، العقد الثمين : ٤ / ٤٨٦ .

(١٠١) المعرفة والتاريخ : ٢ / ٢٢٢ ، وعلق على هذه العبارة الحافظ في التقريب : ترجمة (٢٤١٢) بقوله : ((وكان لا يرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به)) .

(١٠٢) تهذيب التهذيب : ٤ / ٨٩ ، تهذيب الكمال : ١١ / ٧٧ ، العبر : ١ / ٣١٤ .

(١٠٣) تهذيب الكمال : ١١ / ٨١ ، وانظر الميزان : ٢ / ١٥٩ .

(١٠٤) تهذيب التهذيب : ٢ / ٣٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ١ / ٥٢٢ ، السير : ١١ / ٣٩٨ ، العقد الثمين : ٤ / ٦٠ .

(١٠٥) الحش البستان وهو أيضاً : المخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين . ترتيب القاموس : ١ / ٦٤٧ . ولعل مراده تضعيف حديثه ، والله أعلم .

(١٠٦) تهذيب الكمال : ٦ / ٢٦٤ ، وتاريخ بغداد : ٧ / ٣٧٥ .

(١٠٧) تقريب التهذيب : ص ٢٤٠ .

(١٠٨) الثقات لابن حبان : ١ / ٩٨ .

(١٠٩) التقريب : ٩٠٧ ، التهذيب : ٩ / ٥١٨ ، تذكرة الحفاظ : ٥٠١ ، العقد الثمين : ٢ / ٣٨٧ .

(١١٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١ / ١٥٧ .

(١١١) طبقات ابن سعد : ٥ / ٤٦٩ .

(١١٢) تقييد العلم : ص ١٠٥ .

(١١٣) تاريخ بغداد : ٩ / ١٧٧ – ١٧٨ .

(١١٤) سير أعلام النبلاء : ٨ / ٤٣٨ .

(١١٥) انظر : دراسة عبد الكريم بن إبراهيم للعدني ومسنده : ص ١٤ .

(١١٦) السير : ١٤ / ٢٨٩ .

(١١٧) تذكرة الحفاظ : ص ٦٢٢ ، وانظر : العقد الثمين : ٦ / ١٨٤ ، الميزان : ٣ / ١٤٣ ، لسان الميزان : ٤ / ٢٤١ .

(١١٨) العقد الثمين : ٧ / ٢٦٦ ، الأنساب : ٣ / ٣٥١ ، لسان الميزان : ٦ / ٨١ – ٨٢ .

(١١٩) هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي أبو طاهر ملك البحرين ، وزعيم القرامطة خارجي طاغية جبار قال الذهبي : عدو الله ، الأعرابي الزنديق نسبته إلى جناية .

((من بلاد فارس)) وكان أبوه استولى على هجر ، والأحساء ، والقطيف ، وسائر بلاد البحرين وهلك أبوه سنة (٣٠١هـ) وعهد بالأمر إلى كبير أبنائه سعيد فعجز عن الأمر ، فغلبه سليمان صاحب الترجمة ، الأعلام : ٣ / ١٨٣ .

(١٢٠) الخطط للمقريزي : ١ / ٢٥٠ .

(١٢١) إتحاف الورى : ٢ / ٣٦٩ – ٣٧٩ ، تاريخ مكة للسباعي : ١ / ١٧٠ – ١٧٢ .

(١٢٢) علم الحديث في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي : ١١٣ – ١١٤ .

(١٢٣) هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطبري الشافعي محدث توفي بمكة سنة (٧٢٢هـ) ، معجم المؤلفين : ١ / ٧٩ ، العقد الثمين : ٣ / ٢٤٠ ، البداية والنهاية : ١٤ / ١٠٤ ، شذرات الذهب : ٦ / ٥٦ .

(١٢٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي : ١ / ٢١٧ .

(١٢٥) علم الحديث في مكة : ١١٣ – ١١٤ .

(١٢٦) العقد الثمين : ٧ / ١٩ ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي : ٣ / ١٧٢ ، تحقيق مصطفى جواد وناجي معروف ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب : ٣ / ٣٤٦ .

(١٢٧) العقد الثمين : ٦ / ١٥٦ .

(١٢٨) الميانش بفتح الميم وتشديد المثناه ، قرية صغيرة من قرى المغرب بينها وبين المهدية نصف فرسخ ، معجم البلدان : ٥ / ٢٣٩ .

(١٢٩) العقد الثمين : ٦ / ٣٣٤ .

(١٣٠) الهروي نسبة إلى هرات إحدى مدن خراسان ، انظر : الضوء اللامع : ١١ / ٢٣٢ .

(١٣١) العقد الثمين : ٢ / ٥٢ .

(١٣٢) العقد الثمين : ١ / ٢٩٠ .

(١٣٣) العقد الثمين : ٢ / ١٤٧ .

(١٣٤) العقد الثمين : ٦ / ٢٨٥ ، طبقات الشافعية : ٥ / ١٣٠ .

(١٣٥) العقد الثمين : ١ / ٤١٥ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٨٨ .

(١٣٦) العقد الثمين : ٧ / ٣٣٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١٣٠ ، المختصر المحتاج إليه : ٣ / ٢١٤.

(١٣٧) العقد الثمين : ٦ / ١٤٣ .

(١٣٨) العقد الثمين : ٣ / ٤٢٦ .

(١٣٩) رباط خانون : ويسمى رباط أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد ، أوقفته على عشرة من الأشراف : العقد الثمين : ٨ / ٢٣٨ .

(١٤٠) العقد الثمين : ٨ / ١٦ .

(١٤١) ضبطه الفاسي : بفتح الميم وسكون السين المهملة وكسر الدال المهملة . وقيل مُسْدٍ بضم الميم وتنوين الدال المكسورة : العقد الثمين : ٢ / ٤٠٤ ، ومُسْدٍ هو جده الأعلى وهو زيد بن روح ابن عبد الله بن حاتم . انظر لسان الميزان : ٥ / ٤٣٨ .

(١٤٢) وادي آشي : مدينة بالأندلس قريبة إلى غرناطة ، تطرد حولها المياه والأنهار انظر : الروض المعطار في خبر الأقطار . لمحمد عبد المنعم الحميري : ص ٦٠٤ .

(١٤٣) رسالة الذهبي : ذِكْرُ من يعتمد قوله في الجرح والتعديل : ص ٢٠٩ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، أو رد هذه الرسالة ضمن أربع رسائل في علوم الحديث . قلت ليس هذا بتناقض فقد نقل التضعيف عن البعض ورأي هو توثيقه .

(١٤٤) العقد الثمين : ٢ / ٤٠٣ .

(١٤٥) تذكرة الحفاظ : ١٤٤٨ ، العقد الثمين : ٢ / ٤٠٦ .

(١٤٦) العقد الثمين : ٢ / ٤٠٦ .

(١٤٧) العقد الثمين : ٢ / ٤٠٦ .

(١٤٨) لسان الميزان : ٥ / ٤٣٨ .

(١٤٩) تذكرة الحفاظ : ١٤٤٩ .

(١٥٠) لسان الميزان : ٥ / ٤٣٨ .

(١٥١) العقد الثمين : ٢ / ٤٠٥ .

(١٥٢) تذكرة الحفاظ : ١٤٤٩ ، العقد الثمين : ٢ / ٤٠٤ ، ميزان الاعتدال : ٤ / ٧٣ .

(١٥٣) الديباج لابن فرحون : ٢ / ٣٣٤ .

(١٥٤) ذكره الكتاني بعنوان مسلسلات ابن مسدي . فهرس الفهارس : ٢ / ٦٥٧ .

(١٥٥) العقد الثمين : ٢ / ٧٥ .

(١٥٦) نسبة إلى قُسطنطينية : بضم أوله ، وفتح ثانيه ثم نون ، وكسر الطاء ، وياء مثناة من تحت ، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة ، وهاء : مدينة وقلعة كبيرة جداً حصينة عالية لا يصل إليها الطير إلا بجهد ، من المدن الأندلسية على حدود أفريقية مما يلي المغرب : معجم البلدان : ٤ / ٣٤٩ .

(١٥٧) مصادر ترجمته : ذيل مرآت الزمان : ٤ / ٣٣٠ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٣١٠ ، العقد الثمين : ١ / ٣٢١ .

(١٥٨) عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي الشافعي المتوفى سنة (٥٨٧هـ) انظر : العبر : ٣ / ٩٤ ، ذيل تاريخ بغداد : ١ / ١٥٦ .

(١٥٩) العقد الثمين : ١ / ٣٢٢ .

(١٦٠) المصدر السابق : ١ / ٣٢٣ .

(١٦١) المصدر السابق : ١ / ٣٢٣ .

(١٦٢) هو أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن راشد القيسي ، أبو العباس القسطلاني المصري ، المكي المالكي ولد سنة (٥٥٦هـ) بمصر وتوفي سنة (٦٣٦هـ) بمكة المكرمة . الديباج : ١ / ٢٣٩ ، والعقد الثمين : ٣ / ١٠٥ .

(١٦٣) المدرسة الكاملية أنشأها : الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب سنة (٦٢٢هـ) ، الخطط للمقريزي : ٤ / ٢١١ .

(١٦٤) العقد الثمين : ٤ / ٢١١ .

(١٦٥) العقد الثمين : ١ / ٣٢٢ ، وتقل عنه السيوطي في تدريب الراوي : ٢ / ٣٥ – ٣٨ في أنواع الإجازة .

(١٦٦) العقد الثمين : ١ / ٣٢٢ .

(١٦٧) ذكر كل هذه المؤلفات تقي الدين الفاسي في العقد الثمين : ١ / ٣٢٢ .

(١٦٨) المصدر السابق : ٣ / ٦١ – ٧٢ ، الوافي بالوفيات : ٧ / ١٣٥ ، تذكرة الحفاظ : ١٤٧٤ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٨ / ١٨ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٤٣٥ ، العبر : ٣ / ٣٨٢ .

(١٦٩) تذكرة الحفاظ : ١٤٧٤ .

(١٧٠) العقد الثمين : ٣ / ٦٣ ، قلت ولم يسلم الفاسي للعلائي في قوله هذا فقال : وهذه منقبة عظيمة ، إلا أنها لا تسلم من الاعتراض ، بمثل الحميدي المكي صاحب الشافعي ، وبمثل ابن المنذر ، وآخرين من الغرباء . العقد الثمين : ٣/ ٦٦ .

(١٧١) العقد الثمين : ٣ / ٦٣ .

(١٧٢) المصدر السابق : ٣ / ٦٦ ، العبر : ٣ / ٣٨٢ ، البداية والنهاية : ٣ / ٤٣٥ .

(١٧٣) ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(١٧٤) ط. مكتبة القدس بالقاهرة (١٣٥٦هـ) .

(١٧٥) ط. مكتبة التراث بحلب .

(١٧٦) ذكر كل هذه المؤلفات وغيرها تقي الدين الفاسي . في العقد الثمين : ٣ / ٦٣ .

(١٧٧) الوافي بالوفيات : ٦ / ١٢٦ .

(١٧٨) مسند بغداد سعدان بن نصر المخرمي مات سنة (٢٦٥هـ) تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤٠٨ .

(١٧٩) العقد الثمين : ٣ / ٢٤٠ – ٢٤١ .

(١٨٠) مرآت الجنان : ٤ / ٢٠١ – ٢٠٢ .

(١٨١) الوافي بالوفيات : ٦ / ١٢٦ .

(١٨٢) برنامج ابن جابر الوادي آشي : ص ٢٠٤ .

(١٨٣) مرآة الجنان : ٤ / ٢٠١ .

(١٨٤) الدرر الكامنة : ١ / ٥٤ .

(١٨٥) لحظ الألحاظ : ١٠٠ .

(١٨٦) العقد الثمين : ٣ / ٢٤٣ .

(١٨٧) العقد الثمين : ٤ / ٦٦ ، الضوء اللامع : ٣ / ٩٤ .

(١٨٨) معجم الشيوخ : ١٤٤ ، الضوء اللامع : ٤ / ٣٣٢ .

(١٨٩) الضوء اللامع : ٥ / ١٧٩ .

(١٩٠) المصدر السابق : ١ / ٧٤ .

(١٩١) العقد الثمين : ٥ / ٢٧٠ .

(١٩٢) إنباء الغمر بأنباء العمر : ٢ / ٣٠٠ ، الدرر الكامنة : ٢ / ٣٠٠ .

(١٩٣) العقد الثمين : ٣ / ٣٥٨ ، إنباء الغمر بأنباء العمر : ٢ / ٢٩٤ .

(١٩٤) العقد الثمين : ٢ / ٢٠١ .

(١٩٥) معجم الشيوخ : ص ١٤٢ ، الضوء اللامع : ٤ / ٢٠٧ .

(١٩٦) معجم الشيوخ : ص ٥٦٥ ، الضوء اللامع : ٢ / ٢١ .

(١٩٧) إنباء الغمر بأنباء العمر : ٢ / ٨٨ .

(١٩٨) الضوء اللامع : ١١ / ٢٩ ، أنباء الغمر : ٧ / ١٢٨ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة : ٤ / ٤ .

(١٩٩) الضوء اللامع : ٨ / ٢٦٣ .

(٢٠٠) الضوء اللامع : ١١ / ١١٠ .

(٢٠١) معجم الشيوخ : ص ٤٥ ، الضوء اللامع : ١ / ٨٦ ، شذرات الذهب : ٩ / ٤٤٦ .

(٢٠٢) معجم الشيوخ : ص ٢٣١ – ٢٣٢ ، الضوء اللامع : ٧ / ٢٩٢ .

(٢٠٣) انظر المراجع السابقة .

(٢٠٤) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٣ ، العقد الثمين : ١ / ١١٧ ، ٦ / ٣٥ ، إتحاف الورى : ٢ / ٥٤٩ .

(٢٠٥) له ترجمة في العقد الثمين : ٦ / ٣٤ ، الدارس في تاريخ المدارس : ١ / ٥٢٦ ، وزنجيلة قرية من قرى دمشق : هامش العقد الثمين : ٦ / ٣٤ .

(٢٠٦) العقد الثمين : ٦ / ٣٥ .

(٢٠٧) العقد الثمين : ٥ / ٣٩ .

(٢٠٨) المصدر السابق : ٣ / ١١١ .

(٢٠٩) العقد الثمين : ٨ / ٢٦١ ، إتحاف الورى : ٢ / ٥٥٣ .

(٢١٠) ذكرها في العقد الثمين : ١ / ١١٧ ، وابن فهد في اتحاف الورى : ٣ / ٦٠ .

(٢١١) العقد الثمين : ٥ / ٢٤٧ ، ١ / ١١٨ .

(٢١٢) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٦ – ٥٢٧ .

(٢١٣) العقد الثمين : ٥ / ٣٣٥ .

(٢١٤) ذكرها الفاسي في العقد الثمين : ١ / ١١٧ ، وابن فهد في إتحاف الورى : ٣ / ٦٠ .

(٢١٥) إتحاف الورى : ٣ / ٦٠ ، والعقد الثمين : ١ / ١١٧ ، ٦ / ٣٤٨ ، شفاء الغرام : ١ / ٥٢٣ .

(٢١٦) العقد الثمين : ٣ / ٤٢٦ .

(٢١٧) المصدر السابق : ٣ / ٤٢٦ .

(٢١٨) العقد الثمين : ٢ / ٢٣١ .

(٢١٩) المصدر السابق : ٣ / ٦١ – ٦٥ .

(٢٢٠) المصدر السابق : ١ / ٢٩٤ .

(٢٢١) المصدر السابق : ٢ / ٢٧٧ – ٢٧٨ ، ٣ / ٣٢٤ .

(٢٢٢) العقد الثمين : ٣ / ٧٩ .

(٢٢٣) يمسى بمر الظهران ويسمى اليوم وادي فاطمة انظر : معالم الحجاز للبلادي : ٨ / ١٠٠ .

(٢٢٤) العقد الثمين : ٣ / ٣٢٤ ، إتحاف الورى : ٣ / ٦٠ .

(٢٢٥) ذكرها التقى الفاسي : في العقد الثمين : ١ / ١١٨ ، شفاء الغرام : ١ / ٣٢٨ ، وابن فهد في إتحاف الورى : ٣ / ٢١٨ ، حوادث سنة (٧٣٩هـ) .

(٢٢٦) ترجمه في العقد الثمين : ٦ / ١٥٨ .

(٢٢٧) العقود اللؤلؤية : ٢ / ٦٨ .

(٢٢٨) شفاء الغرام : ١ / ٣٢٨ ، العقد الثمين : ١ / ١١٧ .

(٢٢٩) العقد الثمين : ٥ / ٩٤ .

(٢٣٠) المصدر السابق : ٣ / ٤٤٨ .

(٢٣١) ترجمه في العقد الثمين : ٢ / ٣٢٣ – ٣٣٥ ، الدرر الكامنة : ٤ / ٣٣٩ .

(٢٣٢) العقد الثمين : ٣ / ٤٤٨ – ٤٤٩ .

(٢٣٣) باب الدريبة : هو باب من أبواب المسجد الحرام الشمالية بالقرب من باب السلام . تاريخ مكة للأزرقي : ٢ / ٩٤ .

(٢٣٤) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٧ ، العقد الثمين : ١ / ١١٨ .

(٢٣٥) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٦ ، العقد الثمين : ١ / ١١٨ .

(٢٣٦) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٣ .

(٢٣٧) من أبواب المسجد الحرام الشمالية . شفاء الغرام : ١ / ٥٢٣ .

(٢٣٨) شفاء الغرام : ١ / ٥٢٣ .

(٢٣٩) الدرر الكامنة : ١ / ٣٥١ – ٣٥٢ ، شذرات الذهب : ٨ / ١٦٧ .

(٢٤٠) العقد الثمين : ٦ / ٧١ .

(٢٤١) الضوء اللامع : ١٠ / ١٤٨ .